مريض الوهم

موليير



تعريب : أنطوان مشّاطي

مَريضُ الوَهْم

تَعريب :
أنيس عَزيز الحَداد

أشخاص المسرحية

أرغان : مريض الوهم.
بلين : زوجة ثانية لأرغان.
أنجليك : بنت أرغان حبيبة كليانت.
لويزون : صغيرة أرغان شقيقة أنجليك.
بيرالد : شقيق أرغان.
كليانت : حبيب أنجليك.
ديافواريوس : طبيب.
توماس ديافواريوس : إبنه، عاشق أنجليك.
بورغون : طبيب أرغان.
فلوران : صيدلي.
بنّفوا : الكاتب العدل.
توانيت : جارية.

الفصل الأول

المشهد الأوّل

أرغان (قاعداً وحده في الردهة أمامه طاولة وهو يعدّ نبذات أجزائية برقعٍ مرقّمة مخاطباً نفسه بهذا الحديث):

أرغان : ثلاثةٌ وإثنتان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة، عشرون. ثلاثةٌ واثنتان، خمسة؛ صُولَ « فما فوق الرابع والعشرين، حقنةٌ يسيرةٌ ميسِّرةٌ مُليّنةٌ مُرطِّبةٌ منعشةٌ بطنَ السيّد ». ما يروقني في بنود السيّد فلوران الصيدلي أنّها نبذاتٌ رقيقةُ الحاشية جداً. « أحشاء السيّد بثلاثين قرشاً »، أجل أيّها السيّد فلوران ما كلّها حكاية دماثة بل تعقّلٌ لا سلخٌ للمرضى. « غسولٌ بثلاثين » ! جُعِلْت لك خادماً لقد أفدتك عنها، إنّك لم تُقَيِّدْها عليّ بنبذاتٍ أخرى إلّا بعشرين. وما العشرون سوى لغة بالصّيدلة لعشرة قروش، هاكها العشرة. « علاوةً على اليوم المذكور، حقنةٌ مضبوطةٌ مطهّرةٌ مزيجُ تركيبةٍ مثنّاةٍ قوامُها عسلُ الوردِ من لاوند وسواه بموجب الوصفة إيّاها لكنْس وشطف وتنظيفِ مَعدة السيّد بثلاثين صُوْلاً. عن إذنك بعشرة. « وعند المساء، علاوةً على اليوم الآنف، الذكر، نتفةُ مهدّئ ومزيجُ منوّم لاغفاءةِ السيّد ». خمسةٌ وثلاثون صُوْلاً، ما لا اعتراض عليه، لأنّه يغفيني حسناً. عشرةٌ، خمسةَ عشرَ، ستّةَ عشرَ، سبعةَ عشرَ صُوْلاً وستّةُ أذْنِيَة. « وما فوق الخامس والعشرين عشبةٌ طيّبةٌ غسولٌ مُقوٍّ مزيجاً من طازج القرفة والخردل المشرقيّ وسواه بمقتضى وصفة الوصّاف السيّد بورغون لطرد ما في مرارة السيّد وتفريغها، أربع ليرات ». يا

لها من سخافةٍ أيّها السيّد فلوران، عليك بالمرضى لمعاشرتهم، إنّما السيّد بورغون لم يضرب على يدك لتسجيل الفرنكات الأربعة. سجّلها، سجّل ثلاث ليرات من فضلك. عشرون، وثلاثون صُوْلاً. « وعلاوةً على اليوم الآنف الذكر مقدارٌ من مسكّن الوجع وعقولٍ لإراحة السيّد، ثلاثون صُوّلاً ». حسناً ... عشرة صُوَلٍ وخمسةَ عشرَ. « علاوةً على السّادس والعشرين، حُقنةٌ للتّفريجِ عنه لطردِ رياحِ السيّد ثلاثون صُوْلاً ». عشْر صُوَلٍ أيّها السيّد فلوران. « علاوةً على السّابع والعشرين، علاجٌ لتسريع الخروج وطلق الأخلاط الفاسدة خارجاً من السيّد. ثلاث ليرات ». حسناً عشرون صُوْلاً وثلاثون حسْبي أنّك متعقّلٌ. « وما فوق الثّامن والعشرين جرعة من مُصالةٍ مصفّاةٍ محلّاةٍ لتلطيف وتليين دم السيّد لتعديله وإنعاشه عشرون صُوْلاً، حسناً، عشرة صُوَلٍ « علاوةً عليها مقدارٌ من مركبٍ رقيقٍ مانعٍ من إثنتي عشرة حبةً لمصل التّرياق بشراب اللّيمون والرمّان وغيرها بمقتضى الوصفة، خمس ليرات ». رويدك أيّها السيّد فلوران، من فضلك، إن بقيت على هذا المنوال لن يعود أحدٌ يستسلم لمرضٍ من بعد. تكفيك الفرنكات الأربعة. عشرون وأربعون صُوْلاً. ثلاثةٌ وإثنان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة عشرون؛ ثلاثٌ وستّون ليرة؛ أربعة صُوَل وستُّ أدْنِيَة. بالتّمام والكمال للشّهر الجاري، علاجٌ واحدٌ إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستّة، سبعة، ثمانية علاجاتٍ عولجْتها. ثمّ غسلةٌ واحدةٌ إثنتان، ثلاث، أربع، خمس، ست، سبع، ثمانٍ تسعَ عشرةً؛ إحدى عشْرة وثنتا عشْرةَ شَطْفةً وفي المنصرمِ إثنا عشَرَ علاجاً وعشرينِ شطْفةً لا عجب إن كنت أردأ حالاً في هذا الشهر ممّا كنتُ عليه في ذاك لأُفاتِحنّ به السيّد بورغون ليتدبّر الأمر. هلمّوا فارفعوا لي هٰذا كلّه. لا أحد في الدار ؟ عَبثاً أوصيْهم، إنّهم يتركونني وحدي. وما من وسيلةٍ لضبْطِهم هٰهنا.

(يقرع ناقوساً لينادي قومه).

أرغان : إنّهم أبداً لا يسمعون، وناقوسي لا يثير طنطنة كافيةً.

(درلن درلن درلن).

لا فائدة.

(درلن درلن درلن).

بهم الصّمم ... توانيت

(درلن درلن درلن).

هٰذا وكأنّي ما قرعت أبداً. الكلبة الخرقاء.

(درلن درلن درلن).

صِرْتُ كَلِيباً.

(يكفّ عن قرع الجرس فيأخذ ينادي :)

(درلن درلن درلن)، أيّتها الحقيرة، صحبتك الأبالسة أيجوز أن يُترك العليلُ المسكينُ هٰكذا وحيداً. (درلن درلن درلن) يا إلٰهي إنّهم تخلّوا عنّي لأفطس هٰهنا (درلن درلن درلن).

المشهد الثاني

توانيت وأرغان

توماس ديافواريوس (**داخلاً إلى الردّهة**) : لبّيك، أَمْثُلُ بين يديكْ.

أرغان : يا لكِ من كلبة ! تبّاً لكِ من لئيمة.

توماس ديافواريوس (**متظاهراً بتلقّيه لطمةً في رأسه**) : تبّاً لنفاذ صبركَ، لا تنفكّ لجوجاً بالناس حتّى وجدتُني أَلْطم رأسي أيّما لطمة بزاوية المصراع.

أرغان (**مستشيطاً غضباً**) : يا لكِ من خائنة !..

توانيت : (لا تنفك عن التأوّه مقاطعة إيّاه، لئلّا يتمادى بالصّراخ) : أَوْه ِ !

أرغان : ... صار لكِ ...

أَوْه ِ !

أرغان : ساعةً ...

توانيت : أَوْه ِ !

أرغان : فارقتني ...

توانيت : أَوْه ِ !

أرغان : صَهْ يا فاجرة كَيْما أنازعُك.

توانيت : صحيح، لحاكَ الله، أُسايرك بعدما آذيْتُ نفْسي !
أرغان : حنجرتي جرّحتها يا دنئية.
توانيت : رأسي خدشته، هٰذا ما فعلت بي، وهٰذه بتلك كما آرتأيْت.
أرغان : ماذا يا دنيئة ...
توانيت : عنّفني لأبكي ...
أرغان : تغادرينني يا خائنة !...
توانيت (**لمقاطعته أبداً**) : أوْه ِ !
أرغان : أنت تنوينَ، يا كلبة ...
توانيت : أوْه ِ!
أرغان : ماذا ! ألا يُتاح لي أنْ أُفرِّج عنّي بالشِّجار معها !
توانيت : شاجِرْني ما طاب لك، فبودِّي أن نتنازَع.
أرغان : تمنعينني عنه يا كلبة بمقاطعتك إيّاي كلّما نويتُ عليه.
توانيت : إن رمْتَ شِجَاراً رمْتُ عويْلاً ولكلٍّ ما يحلو له فلا بأس عليه.
أرغان : هيّا ينبغي أن تستغني عنه، إنزعي لي إيّاه يا دنيئة إنزعيه (ينهض من مقعده) أما أَجْريتُ بالحقنة ِ اليوم ؟
توانيت : الحقنة ؟
أرغان : أجل، أمنا رشحتْ مرارتي بالصَّفراء قدْراً وافياً ؟
توانيت : حسبي أني لا أحشر نفسي في مثل هٰذه الأمور وما على السيّد فلوران إلّا أنْ يدسَّ أنفه هو حيث يستجدي له نفعاً.
أرغان : لينصرفوا إلى تجهيز السامِطِ الثاني لي لأزاوِلَه بعدَ حين.
توانيت : بطيبة ِ خاطر يتعهّدُ السيّدان فلوران وبورغون جسمكَ ويتّخذان مِنْك بقرةً حلوباً ولِسوف أسألُهُما أنا ما هي علّتك لما يجهّزان ِ به حضرتك من عقاقير هائلة !
أرغان : إخرسي أيّتها الحمقاء، لا شأن لك بالوصْفات الطبّية لتراقبيها. عليّ بابنتي أنجليك عندي لها ما أقوله.
توانيت : ها هي آتية بنفسها ــ لقد حزرتْ ما يدور بخلَدِك.

المشهد الثالث

أنجليك، توانيت، أرغان.

أرغان : هلمّي أنجليك، جئتِ في الآوان المناسب وكنتُ ألتمس محادثتك.
أنجليك : جاهزة لسماعك.
أرغان (**يهرول الى الطَّست**) : مَهْلاً، هاتي لي عصايْ عسايْ أرجع حالاً.
توانيت (**ساخرةً منه**) : أسرعْ سيّدي تيسَّرْ فلوران يخلّف لنا من الحوادث حوادث.

المشهد الرابع

أنجليك، توانيت

أنجليك (**بنظرة خفيضة تسرّ إليها بطرف خفي**) : توانيت !
توانيت : ماذا ؟
أنجليك : تفرّسي فيّ قليلاً.
توانيت : حسناً تفرّست.
أنجليك : توانيت !
توانيت : حسناً ماذا « توانيت » ؟
أنجليك : أنجليك أما حزرتَ قَطُّ مَنْ أقصد بكلامي !
توانيت : أخشاه فيما حزرت؛ فتانا العاشق فحوله تدور أحاديثنا برمّتها في الأيام الستّة. ولستِ على ما يرام إن لم تعنيه ِ في كلّ ساعة !
أنجليك : طالما عرفت ذلك فما بالك لا تكونين الأولى بمفاتحتي به، ولم لا توفّري عليّ عنا زجّك في الموضوع ؟
توانيت : أنت لا تمهلينني مهلة، ثمّ إنّك تديرين بالك للأمور بحيث يَصعب استدراكها عليك.

أنجليك : أقرّ لك أنّي لا أفترّ عن التحدث إليك عنه ... وبكلّ حميّة يغتنم فؤادي كلّ سانحة لمفاتحتك به. ألا بحقّك هل تؤاخذينني يا توانيت، لمشاعري نحوه.

توانيت : لا شأن لي ...

أنجليك : أمذنبةٌ أنا بانقيادي لهٰذه التأثيرات العذبة ؟

توانيت : لا شأنَ لي لادعائه.

أنجليك : أوَ تريدينني أن أتجاهل نعشات الهوى المضطرم الذي يبثّني إيّاه ؟

توانيت : معاذَ الله !

أنجليك : رويدك، بحقك، ألا تُلْفين مثلي شيئاً سماويّاً، بل شيئاً قدريّاً في مغامرةٍ قاهرةٍ تسوقنا صاغرين إلى التّعارف بيننا ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : ألا تُلْفين بادرته، لاعتناقه المدافعة عنّي، بادرة رجلٍ شهمٍ نبيلٍ وهو لا يعرفني أو يكاد ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : وأن لا مروءَة لأحد كمروءَته ؟

توانيت : بالتمام.

أنجليك : وأنّه إنّما يؤدّيها بأظرف أساليب الدّنيا ؟

توانيت : بلى، نعم، (أجلٌ، بجلْ).

أنجليك : ألا تُلْفين، يا توانيت، أنّه كامل الأوصاف شخصياً ؟

توانيت : بكلّ تأكيد.

أنجليك : وأنّ أبهى ما في الدّنيا بهاءَ طلعته ؟

توانيت : بلا ريب.

أنجليك : وأنّ على كلماته ولفتاته مسحةَ النُّبْل ؟

توانيت : هٰذا أكيد.

أنجليك : وأنّه لا ينمو إلى المسامع إطلاقاً ما هو أشدُّ رقّةً ممّا يُلقيه على مِسْمَعَيْ.

توانيت : هذا صحيح.

أنجليك : وأنّه لا أمضّ من كبتٍ يُطْبِقُونَه عليّ ممّا يسدُّ كلَّ تحرّقٍ للواعجِ هوىً عذبةٍ بها أَلْهِمْتَنا السّماء ؟
توانيت : الحقُّ معْكِ.
أنجليك : عزيزتي توانيت المسكينة، أَوَ تخالينَ أنَّه يَعْشقني بقَدْر ما يصرّحُ لي به ؟
توانيت : زِه، زِهْ هي أمورٌ عرضةٌ للحِسْبان فعَبْسات العشق تنمّ عن واقعَ الحال فقد صادَفتُ في هٰذا الشّأن مُقلّدين كباراً.
أنجليك : إيه يا توانيت، بم تتفوَّهين ؟ واحسرتاه ! أمِنْ أسْلوبه سرّاً، يمكن ألّا يصْدُقَني جهْراً ؟
توانيت : على كلّ حالٍ، قريباً تتوضّح كل الأمور، وعمّا سطّره لك من عزمٍ على إرساله طلبَهُ للزّواج منك؛ برهانٌ ساطعٌ تَسْتشفّينَ منه إنْ قال صدْقاً أَو العكس.
أنجليك : آه يا توانيت ! إنْ خدعني هٰذا فلنْ أصدِّق آمرأ، مدى الحياة.
توانيت : هوذا أبوك وقد عاد أدراجه.

المشهد الخامس

أرغان، أنجليك، توانيت

أرغان (**مستوياً في مقعده**) : إليكِ يا آبنتي، أودّ أن أزفّ البُشرى من حيثُ لا تتوقّعين. إنّهم يطلبونك للزّواج، ما هٰذا ؟ أَوَ تضحكين ؟ أجل إنّها لفكاهة كلمة الزّواج هٰذه. فلي أفْكَهَ مِنْها لدى الأوانس آه طبعاً طبعاً ! وعلى ما أراه يا آبنتي ما لي سوى أن أسألكِ إنْ كنتِ حقاً ترغبين فيه.
أنجليك : ينبغي لي، يا أبي، أن أرضخ لكل ما يرضيك إجباري عليه !
أرغان : ترضى نفسي عن آبنةٍ هٰكذا رضيةٍ مطواعة. قُضيَ الأمرُ فقدْ وعدْتهم بكِ.
أنجليك : ينبغي لي أن أطيع كل أوامرك يا أبي، طاعة عمياء.

أرغان : كانت زوجتي، خالتك، تريدك راهبةً أنت، وشقيقتك الصغرى لويزون، وهي لا تألو جهداً في تحقيق مأربها.
أنجليك (بصوتٍ خافتٍ) : لها حجَّتها تلك البهيمة الغاشمة.
أرغان : لم تَكُ لتوافق على هٰذا القران لو لم أُفْحمْها فأُعْطِيَت كلمتي.
أنجليك : إيه يا والدي كم إنِّي ممتنّة لكلّ أفضالك عليّ.
توانيت : أُقِرُّ حقّاً بعميم فضلك هٰذا، إنّه أجلُّ مآتيكَ على مدى عمرك.
أرغان : أنا، ما عاينت الرجل بعد، إنّما سأرضى عنه كما قيل لي، وأنتِ سترضَيْن به.
توانيت : بالتأكيد يا والدي.
أرغان : كيف ؟ وهل عاينته أنتِ ؟
أنجليك : ها أنْتَ بالموافقة عليه، تفسح لي المجال لأفضّ قلبي. فلا أتردَّد بالإفصاح عن أنّ القدر قد عرّفنا ببعضنا منذ ستّة أيّام، وإنّ طلباً يعرضونه عليك إنّما يبرّره آستلطافٌ نتبادله منذ الوهلةِ الأولى.
أرغان : أنا راضٍ عنه، رغم أنّهم لم يبوحوا لي بشيء، منه، فمن الأفضل أن تجري الأمور على هٰذا المنوال، قيل، إنّه فتىً طُوَّال، وهو طلْقُ المحيّا !
أنجليك : نعم، يا أبي.
أرغان : مديد القامة.
أنجليك : بالتَّأكيد.
أرغان : طيّب الشخصيّة.
أنجليك : بلا ريب.
أرغان : طيّب النيّة.
أنجليك : طيّب جداً.
أرغان : فطنٌ، شريف المَحْتدِ.
أنجليك : تماماً.
أرغان : إنّه بغاية الشرف.
أنجليك : أشرف كلّ البرايا.
أرغان : يتكلّم اللاتينيّة واليونانيّة بطلاقةٍ.

أنجليك : هٰذا ما فاتني عنه.
أرغان : وسيتخرّج طبعاً بعد ثلاثة أيّام.
أنجليك : هو يا أبي ؟
أرغان : نعم، أما أسرّ به إليك ؟
أنجليك : كلا، حقّاً، وأنت من أطلعك عليه ؟
أرغان : السيّد بورغون.
أنجليك : وهل السيّد بورغون يعرفه ؟
أرغان : يا له من سؤال، هو الذي يعرفه، إنّه ٱبن شقيقه !
أنجليك : كليانت إبنُ شقيق بورغون ؟
أرغان : ما شأن كليانت به، إنّما نحن بصدد من طلبوك للزواج منه !
أنجليك : أي، نعم.
أرغان : أي، حسناً، إبن شقيق السيّد بورغون، إبن صهره النطاسي ديافواريوس، ٱسمُ هٰذا الابن توماس ديافواريوس وليس كليانت، هٰذا الزّواج أبرمناه صباحاً، السّيدان : بورغون وفلوران وأنا. وغداً يسوق هٰذا الصهر أبوه إليّ؛ ماذا؛ ما بالك منغصّة ؟
أنجليك : ما بالي ؟ أتبيّن من حديثك أنّك يا أبي تناولت شخصاً وأنا أروم غيره.
توانيت : ماذا سيّدي، أتهرّج هذا الهَرْج وأنت ما عليه من الغنى لتنوي على زفّ بنتك إلى طبيب ؟
أرغان : أجل، وما شأنك يا سافلة، وأنتِ ما عليه من الوقاحة ؟
توانيت : ربّاه، مهلاً. إنّك أوّلُ ما تعمد الى قواذع الكلام ألا تطيق الرويّة لنتجاذب أطراف الحديث بدمٍ باردٍ وبلا خصامٍ بيننا، فما الدّاعي، من فضلك، لمثل هذا الزّفاف ؟
أرغان : عذري أنّي رجلٌ عاجزٌ مريضٌ وفي حالتي ألتمس أن أوفَّق إلى صهرٍ وإلى صُحْبَةِ أطبّاءٍ يمدّونني بالإسعافات النّاجعة على علّتي ليتوفّر في أسرتي مصادر عقاقير أنا بأمسّ الحاجة إليها وتضحي الاستشارات والوصفات على متناول يدي.

توانيت : حسناً هٰذا من باب الاستعذار؛ وما يثلج الصدر تجاوبٌ رقيقٌ فيما بيننا. إنّما ضعْ يدك سيّدي على ضميرك، أحقّاً أنت عليلٌ ؟
أرغان : كيف، يا حقيرة، لست عليلاً، بلى أنا مريض، يا وقحة.
توانيت : أوْهٍ، سيِّدي حسناً، ما أنت إلّا مُبْتَىً ولا مراءَ في ذلك نعم، أجل ... ها إنّك تحت وطأة من المرض ولا أدْهى، أنا معك، أكثر ممّا تتصوَّر، هٰذا هو الواقع يحقّ لابنتك أنْ تتّخذ لها زوجاً، وبما أنّها لا تشكو أدنى علّة فلا حاجة إذن إلى إعطائها طبيباً.
أرغان : إنّما أهبها هٰذا النّطاسي من أجلي وعلى الإبنة الأصيلة أن تطرب لاقترانها بمن هو نافع لصحّة الوالد.
توانيت : عندي، لو رمْتَ سيدي، نصيحةً : من صديقةٍ نصوحة.
أرغان : وما هي هٰذه النصيحة ؟
توانيت : أن تعزف بتاتاً عن هٰذا الزفاف.
أرغان : وما الدّاعي ؟
توانيت : هو أنَّ ابنتك لا تطيقه أبداً.
أرغان : لا تطيقه مطلقاً ؟
توانيت : أبداً بتاتاً.
أرغان : إبنتي ؟
توانيت : إبنتك بعينها، ستبادرك بأنّه : « لا شأن لها مع السيّد ديافواريوس ولا مع ابنه توماس ديافواريوس ولا مع أيّ ديافواريوس في العالم ».
أرغان : أنا صاحب الشّأن معه، بغضّ النُظر عن أنّه نصيب لها أصلح مما يظنون، فليس هناك لديافواريوس من ولد غيره، ولا وريث سواه، وعلاوةً على ذلك فإنّ السّيد بورغون، وهو دونما زوج أو عَقِبٍ، رصد له كلَّ غناه في سبيل هٰذا الزّفاف. ما عدا ثمانية آلاف ليرة دخلاً سنويّاً.
توانيت : لا بدّ أنّه أزهقَ أنفساً كثيرة ليصبح هٰكذا غنيّاً.
أرغان : ثمانية آلاف ليرة هي فائدة لا يُسْتَهان بها ناهِيكِ عن ثروة الأب.
توانيت : طبق المرام، سيّدي، لكنّي أعود فأصرُّ على نصحك فيما بيننا أنْ تُعِدَّ لها زوجاً آخر. فهي غير معدَّةٍ لتكنّى بالسيدة ديافواريوس.

أرغان : وأنا أقول إنَّه لا غنىً عنه.
توانيت : إيه زه لا تتفوّه به !
أرغان : وكيف ! ألوذ بالصَّمت ؟
توانيت : إيه، لا.
أرغان : لم لا آتي على ذِكْره ؟
توانيت : لكأنّهم يزعمون أنّك لا تَعْني ما تقول.
أرغان : ليزعموا ما شاؤوا فلكِ أقول : عليها أنْ تُنفِّذ كلاماً أُعطيه.
توانيت : كلّا في يقيني أنّها لن تلبيَهُ.
أرغان : أرغمها عليه إرغاماً.
توانيت : قلت لكَ : لن تفعله.
أرغان : تفعله أو أدخلْها الدير، أنا.
توانيت : أنت ؟
أرغان : أنا.
توانيت : حسناً.
أرغان : حسناً، كيف ؟
توانيت : لن تضعَها في الدّير.
أرغان : أنا لا أضعها في الدير.
توانيت : كلّا !
أرغان : لا ؟
توانيت : كلّا !
أرغان : أوْه، إنّها لَمَهْزلة، ألا أُدْخل آبنتي ديراً، إنْ شئت ؟
توانيت : قلت لكَ، كلّا.
أرغان : ومن ترَيْنَه يمنعني ؟
توانيت : أنت بنفسك.
أرغان : أنا ؟
توانيت : نعم فلا قلبَ لك ...
أرغان : سيكون لي.

توانيت : إنّك تتجاهله.
أرغان : أنا لا أتجاهله.
توانيت : عاطفتك الأبويّة تغلبك.
أرغان : لن تنال منّي أبداً.
توانيت : دمعة صغيرة، أو دمعتان، وذراعان تعانقانك ومناداة « يا أبتاه الحنون الطيّب » ... عذبةً رقيقةً تكفي للتأثير عليك.
أرغان : كلّ هٰذا لا يجدي فتيلاً.
توانيت : بلى، بلى.
أرغان : قلت لك، لن أتراجع أبداً.
توانيت : تخرّصات باطلة.
أرغان : لا تجعلي تقولين أبداً « إنّها تخرّصات ».
توانيت : ربّاه، أنا بك أدرى، المعدن طيّب.
أرغان : لست بطيّب بتاتاً، بل إنّي خبيث كلّما نويت.
توانيت : رويدك، سيّدي، لم تعد تفطن إلى أنّك عليلٌ.
أرغان : آمرها أمراً باتّاً؛ فلتستعدّ لتأخذَ زوجاً من ذكرت.
توانيت : وأنا أمنعها منعاً باتّاً، أن تأتي بأيّ شيء.
أرغان : يا لجسارة خادمةٍ تتطاول هٰكذا بحضرة معلّمها !
توانيت : عندما ربُّ البيت لا يعي ما يعمل فمن واجب الخادمة الواعية أن تصحّحَهُ.
أرغان (**يعدو خلف توانيت**) : سحقاً لك من وقحةٍ ينبغي لي أن أخمد أنفاسك.
توانيت (**هاربةً من وجهه**) : ينبغي لي أن أستدرك ما يجلب عليك العار.
أرغان (**راكضاً مغضباً خلفها حول المقعد وعصاه بيده**) : تعالي ألقّنك درساً في الكلام.
توانيت (**هاربة من جهة المقعد لا من ناحية أرغان**) : كلّ همّي أن أصدّك لئلا ترتكب أدنى حماقة.
أرغان : كلبة !
توانيت : كلّا، ما وافقت أبداً على هٰذا الزواج.

أرغان : مخادعة !
توانيت : دعني، لن أقبل أبداً أن تتزوج صاحبك توماس ديافواريوس.
أرغان : سافلة !
توانيت : فلا يجدر بها إلاّ أن تذعن لي.
أرغان : أنجليك، ما بالك لا تمسكين لي بهٰذا الماكرة.
توانيت : بحقّك يا والدي، لا تتقاعس...
أرغان : إن لم تعترضيها أنزلت لعنتي عليك.
توانيت : إن امتثلت لك حرمتها أنا من الميراث.
أرغان (**يتهالك في مقعده، منهوكاً من المطاردة**) : أوْه، أواه طفح الكيل، تلاشَيْت كفاني عذاباً يخمد أنفاسي.

المشهد السّادس

بالين، أنجليك، توانيت، (**قد تتغيّبان**) **أرغان.**

أرغان : هيّا، زوجتي، إقتربي منّي.
بالين : ما بكَ، أيا زوجي المسكين ؟
أرغان : إليَّ، إليَّ هلمّي إليَّ.
بالين : ماذا يجيء، يا بْنَّي ؟
أرغان : أُمَيْمة.
بالين : خليلي.
أرغان : غيَّظوني.
بالين : يا ويحهم، زوجي المسكين ! كيف يا صاحِ ؟
أرغان : صاحبتك توانيت، تلك الماكرة، قد تمادت بجسارتها أكثر من أيّ زمنٍ مضى.
بالين : لا عليك، هوّن عليك.
أرغان : إنّها تثير حفيظتي.

بالين : هوّن عليك، يا بنيّ.
أرغان : ما فتِئَتْ لساعتها، تقمعني في كل ما أنوي.
بالين : ألِى هذا الحد وَصَلَتْ ؟ مهلاً هوّن عليك.
أرغان : وبكل وقاحة زعمت أنّي لسْتُ مريضاً أبداً !
بالين : يا لها، من بذيئة !
أرغان : لعلمك، يا فؤادي، بما يَعْتَوِرُهُ ...
بالين : أجل، يا قلبي، ألحقّ عليها.
أرغان : أيا حبي، هٰذه الماكرة، تقصف عمري.
بالين : أَوَصَلَتْ بكَ إلى هٰذا الحدّ ؟
أرغان : هي علّة كلّ ما أنزُّهُ من مرارةِ كبدي.
بالين : لا تُفْرط بالغضب.
أرغان : صار لي مدّة، لا أعلَم مداها، وأنا أحرّضك لتخلي سبيلها عنّي.
بالين : ربّاه، ليس من خدم، يا بنيّ، ولا من جوارٍ إلّا وعليهم مآخذ نتحملّها من أجل مكارمهم. فهٰذه ماهرة، نشيطة سيّما إنّها أمينةٌ وأنت تعلم ما يلزمنا من حرص على النّاس الذين نستخدمهم ! توانيت، هلمّي.
توانيت : مولاتي.
بالين : لم تثيرين غضب زوجي إذن ؟
توانيت (**بلهجة عذبة**) : واحسرتاه، سيدتي، أنا لا أفهم ما تقصدين فإنّي لا ألقي بالّا إلّا إلى كلّ شاردةٍ وواردةٍ تطيّب خاطر السّيّد.
أرغان : تبّاً للخائنة.
توانيت : أفادنا السيد أنّه يعطي بنته للزّواج من آبن السيّد ديافواريوس أجبته ــ مع أنّي أجده نصيباً لها صالحاً، إنّه إنّما يفعل الأصلح بوضعها في الدّير.
بالين : ما هٰذه الطامة الكبرى ! بل أرى أنها على صواب !
أرغان : أوه، يا حبّي، أتصدّقينها إنّها لداهية دهياء وقد قذفتني مئة مرّة بقاذع الكلام.
بالين : حسناً، صدّقتك يا صاح، سوّ جلستك حذارِ ، يا توانيت، إن أنتِ بعد أزعجت زوجي طردتك شرَّ طردة، والآن علبّ بجبّة الفرو وبالوسائد، أسوّي

المقعد علّك ترتاحُ متّكئاً، رُصَّ القلنسوة حتّى الأذنين. ليس أدعى للنزلة الصدريّة من لفحة الهواء من الآذان.

أرغان : أوه يا أميمة، كم أنا مدين لك بما تحيطينني به من وقاية.

بالين (**مرتّبة الوسائد حول أرغان**) : قبّ لأضع هذا تحتك، وهٰذه سندة، وتلك من الجانب الآخر، هذا خلف ظهرك، وذاك سنداً لرأسك.

توانيت (**جاعلة بعنف على رأسه وسادة وهي تبتعد**) : وهٰذه الأريكة، لتيسير هبّاتِ نسائمِ العصير لحضرتك.

أرغان (**ينهض غاضباً قاذفاً توانيت بالوسائد**) : يا لك من ماكرة ! هكذا تغظّينني !

بالين : ما هٰذا، لا، لا، كلا !

أرغان (**يرتمي على مقعده منهوك القوى**) : آه أوْه آه. ما عدت أستطيع الاحتمال، من بعد !

بالين : علام آحتدامُكَ هٰذا، وفي ظنّها أنّها تحسن فِعلاً !

أرغان : أنتِ، حبّي، لا تعرفين مكر هٰذه الخبيثة، أوه، قد استفزّتني حتّى طرتُ شُعَاعاً ويلزمني أكثرُ من ثمانية علاجاتٍ ودزّينةُ شطفاتٍ لترميم كلّ هذا.

بالين : صاحِ، كفى، هدّئ من روعك.

أرغان : بكِ يا أميمة، كلُّ عزائي.

بالين : يا للولد الصغير المسكين.

أرغان : إقراراً بحبّك لي. وعرفاناً لجميلك نحوي بودّي كما قلت، يا قلبي، أن أكتب وصيّتي لكِ.

بالين : أوْه، خليلي، دعنا من هٰذا أرجوك أبداً لا أعلم كيف أطمئنّ إلى هٰذه الفكرة، إنْ للوصيّة لفْظَةً تجعلني أرتعش ضيّقاً.

أرغان : ناشدتك أن تفاتحي الكاتب العدل بهذا الخصوص !

بالين : هو بصحبتي، هٰهنا.

أرغان : يا حبّي، دعيه إذن يدخل.

بالين : وأأسفاه، خليليْ، هٰكذا كلّما استأثر الزّوج بكلّ الحبّ لا يعود ثمّة من مجالٍ للاحتفاء بمثل هٰذه الأمور.

المشهد السابع

الكاتب العدل، بالين، أرغان

أرغان : أدْنُ، أيّها السيّد بنّفوا أدْنُ مني، تناول لك مقعداً من فضلك. لقد أفادتني عنكَ زوجتي. أنّك الرّجل الهمام أيّها السيّد، وأنّك حقاً من خاصتها فوكلتها بمفاتحتك بشأن وصيّة أريد أن أوصّيها لها.

بالين : واأسفاه، لا طاقةَ لي أبداً بالمداولة بهٰذه الأمور.

الكاتب العدل : قد شرحَتْ، سيّدي نواياك نحوها، وقصدك بها، ولا أُخفي عليك فيه، أنّه لا يمكنك أن تستوعب شيئاً ممّا لكَ أنْ تهبه زوجتك بوصيّتك.

أرغان : لماذا، كلّ هٰذا ؟

الكاتب العدل : العادةُ المْألوفة هي الّتي تحول دونها، فلو أنّك في بلاد الحقّ المدوّن لأستتبّ لك الأمر. إنّما في بلاد التقاليد، أقلّه المرعيّة في مجملها، وفي باريس، فلا يصحّ هٰذا الأمر. وكلّ تمهيدات لها تصبح لاغيةً. كلّ مصلحةٍ قائمةٍ ما بين مَرْءٍ مقترنٍ بامرأةٍ في القران، يمكن أن يصنعها الواحد بالآخر كعطاءٍ متبادل ما بين أحياءَ باعتبار أنّ لا بنين لدى الطرفين، أو لدى الطرف الواحد حال وفاة الثاني.

أرغان : يا للمألوف المزعج ! حيث لا يستطيع الزوج إيلاء زوجته شيئاً، هي الشغوفة به الحانية عليه ! لعله فكر راودني لاستشارة محاميٍّ تبصراً لي فيما أستطيع التصرّف به.

الكاتب العدل : ما الحاجة إلى محامين للمراجعة، لأنهم صارمون بهذا الصّدد ويظنّون أنّها الجريمة الكبرى احتيالاً على القانون، فما هم إلّا أصحاب المتاعب، قاصرون عن مواربات الضمير فثمّة أشخاص أكثر إيناساً بالشورى ولديهم ما لديهم من ترويجات للتجاوز استخفافاً بالقانون فكلّ ممنوع متبوع، إنّهم أدرى بتذليل العقبات في مسألة يوفقون إلى أساليب تتجنّب المألوف ببعض توفيقات غير ملتوية، لولاهم أين كنّا صرنا، يوميّاً. لا بدّ من تيسير الأمور فلا حيلة لدينا لنحرّك ساكناً ولستُ أضحّي دونها ولا بصُوْلٍ واحدٍ في مِهْنتنا.

أرغان : حقّاً، أيّها السيّد، لقد سبق أن أفادتني زوجتي عن مدى نباهتك وقَدْرِ نُبْلك الرّفيع، فمن أين لي اجتهاداً من فضلك، لأهبها خبراتي وحرمان أولادي منها ؟

الكاتب العدل : من أين لك ذلك ؟ ما لك سوى أن تنتقي بروية، صديقاً لزوجتك صدوقاً، تسلّمه صكّاً بالوصيّة، بالصيغة الصحيحة، على أنّه فيما بعد يفرّغ لها مالها. باستطاعتك أيضاً أن تعقد عدداً وفيراً من قيود الحق لصالح مرابين كثيرين يقايضون أسمهم لزوجتك، متنازلين لها بتصريح عمّا تصرّفوا به عند رغبتها. ويمكنك أيضاً طالما أنّك على قيد الحياة أنْ تضع بين يديها مالاً عدّاً ونقداً أو سنداتٍ تستحصل عليها مدفوعاتٍ لحامله.

بالين : ربّاه، ما لك ولكل هذه الأشياء، ان تمّ ذلك في غيابك، فلا طاقة لي بالعيش من بعدك.

أرغان : أميمتي !

بالين : أجل، يا لتعاستي من بعدك يا خليلي.

أرغان : حليلتي العزيزة !

بالين : حياتي تغدو هباءً.

أرغان : يا حبّي.

بالين : أَلْحَقُ بكَ، لتعرف مدى تَحْناني إليك.

أرغان : رفقاً بنفسكِ يا خليلتي، أرجوكِ. إنّك تصدّعين فؤادي.

الكاتب العدل : دموعٌ في غير موسمها، فالأمور لم تبلغْ بعد إلى هٰذا الحدّ.

بالين : أنت أيّها السيّد لا تدركُ مكانة الزوّج المعشوق مستأثراً بكلّ عوارف الحنان.

أرغان : أعظم الحَسَرات عندي، إن قضيتُ نحبي وأنا محرومٌ من ولدٍ منك مع أنّ السيّد بورغون أفادني أنّهُ يولّدني واحداً.

الكاتب العدل : الإحتمال ما يزال وارداً بعد.

أرغان : لا بدّ لي من تسجيل الوصيّة، يا حبّي، وعلى النّحو الذي يرتئيه السيّد بالذّات. إنّما على سبيل الحيطة أحبّ أن أبذل لك عشرين ألف فرنك ذهباً

موجودة بإفريز كُوَّني وسندين لأمر حاملهما مستوجبين لي؛ سندٌ على السيّد دامون وآخر على السديد جيرانت.

بالين : لا، كلّا، ليس لي أدنى مطمع في أيّ منها، أوه كم ذكرْتَ إنّه هناك في الكُوَّة.

أرغان : عشرون ألف فرنك. يا حبّي.

بالين : ما لي ولسيرة المقتنيات، أوْه بكم السّندات ؟

أرغان : هما يا حبّي، سندٌ بأربعة آلاف، وآخر بستّة.

بالين : كنوز، العالم طرّاً، ليست بمنزلتك عندي، يا خليلي.

الكاتب العدل : أتأمر بالشّروع بالوصيّة ؟

أرغان : أجل أيّها السيّد ولعلنا في قمرتي الصّغيرة نطمئنّ أكثر من هنا، هلمّي بنا، يا حبّي، إليها، أرجوك أن تقوديني إليها.

بالين : هيّا بنا يا بنّي المسكين.

المشهد الثامن

أنجليك، توانيت

توانيت : هما مع الكاتب العدل، فقد نما إلى سمْعي كلامٌ عن الوصيّة، هي ذا خالتك لا تغفو أبداً ولا شكّ أنّ المؤامرات تحاك بشأنك على قدم وساق وإليها أبوك ينساق.

أنجليك : فلتعبث بماله على كيفها شرط ألّا تتلاعب بقلبي أبداً أترينَ يا توانيت، ما يحيكون عليه من دسائس وخيمة ! فلا تتخلَّيْ عنّي أبداً في غمار الأزمات.

توانيت : الموت ولا التخلّي ـــ عبثاً حاولت خالتك أن تجعلني أمينة سرّها لتجرني إلى بؤرة مصالحها فما آنست إليها ميلاً وكنت أبداً الى جانبك، دعيني أنا أتصرّف فسأبذل قصارى الجهد في خدمتك، خدمةً نصوحاً، يقتضي

فيها التبديل من أسلوبي تغطيةً لغيرتي عليك وأيضاً مداراةً لشعور أبيك وخالتك.

أنجليك : أستحلفك، علّك تُطلعين كليانت على الزّواج المبرم.

توانيت : ليس لي سوى العجوز المهرّج المرابي، حبيبتي. أسخّرُهُ لهٰذه الخدمة، إنّه رهنٌ لكلماتٍ من فمي العذب، أطلقها كرمى لكِ أنتِ، إنّما اليوم تأخّر بنا الوقت كثيراً وغداً صباحاً باكراً أطلقه يتسقّط لنا الأخبار ولسوف ينتعش انتعاشاً لِ ...

بالين : توانيت ؟

توانيت : إنّهم ينادوني، عِمْتِ مساءً، إرتاحي عليّ بالاً.

الفصل الثاني
يتبدّل المسرح ليمثّل حجرة

المشهد الأول

توانيت، كليانت

توانيت : عمّ يسأل سيدي ؟
كليانت : عمَّ أسأل، أنا ؟
توانيت : ها، ها، هٰذا أنت ! يا للمفاجأة، وما وراءَك الآن ؟
كليانت : أتبيّن مصيري، فيما أحدّث أنجليك الطيّبة، اسبر غور فؤادها، مستطلعاً خُططها؛ عمّا أُنبئت من زفافٍ منكود.
توانيت : للإسرار الى أنجليك أسرار، وليس هٰكذا مواجهة؛ الحراسة مشدّدة، والحجز تام، في الخروج وفي الكلام. رغم حرية تحرّكنا بفضل العجوزة، بتنا نتحفّظ من التّندر بمهزلة هواك اللّاهب، يا لها من مغامرة !
كليانت : وأنا بتّ أتستّر عن مظهر الولهان، لذٰلك ما شخصت بوصفي كليانت بل بصفتي مندوباً من قبل أستاذ الموسيقى الذي انتدبني قولاً وفعلاً لكوني صديقَهُ الحميم.
توانيت : هوذا أبوها، تنحَّ قليلاً، ودعني أنبئه بوجودك.

المشهد الثاني

أرغان، توانيت، كليانت

أرغان : وصف لي السّيد بورغون المشي في الحجرة دزّينة مرات ذهاباً، ومثلها إياباً؛ فسها عن بالي أن أستوضحه أبالطّول أم بالعرض ؟!

توانيت : سيّدي ... أحدهم هناك !

أرغان : بصوت خافت، يا ماكرة، دماغي زعزعتِهِ، ألا تُقْلعين عن الصّراخ مع المريض إلى الهمس له ؟

توانيت : سيّدي ... (تتظاهر بالحديث معه) .

أرغان : أيْها ... !

توانيت : أقول ... (مُتظاهرةً بالكلام معه)

أرغان : ماذا تقولين ؟

توانيت : قلت : الشّاب بالباب، يلتمس الجواب.

أرغان : فليتقدّم.

توانيت (تشير الى كليانت بأن يتقدّم)

كليانت : سيّدي.

توانيت (ساخرةً) : لا تتكلّم بصوتٍ عالٍ لئلّا تخضّ للسيّد دماغه.

كليانت : يطيب لي أن أصادفك سيدي، منتصباً وعلى أحسن حال.

توانيت (متظاهراً بالاحتداد عليه) : على أحسن حال، هذْرٌ وهذيانٌ، السيّد دوماً سيّئ الحال.

كليانت : بلغني أنّ حال السيّد تحسّنت، وها إنّي أستشفّ على وجهه الرُّواء.

توانيت : من أين لوجهه الرُّواء ! السيّد عاطلٌ جدّاً؛ ما أغلظ الذين تنادروا عليك في تحسّن أحواله. ما كان قطّ أنحسَ حالاً منه اليوم !

أرغان : الحقّ معها.

توانيت : هو صحيحٌ، يمشي ويرقد، إنّه يأكل ويشرب كسائر الناس، إنّما هٰذا لا يخفّف من وطأة العلّة عليه.

أرغان : هذا صحيح !

كليانت : أنا أسفلَ دركات الأسى، سيدي. إنّما أوفدني، أستاذ الغناء لدى الآنسة ابنتكم، لأنّه اضطرّ للمثول إلى الرّيف أيّاماً؛ ونظراً لصداقتنا الحميمة، انتدبتُ بدلهُ، إنجازاً لدروسها؛ مخافةً من أن تنسى ما تعرفه الآن، بانقطاعها عنه.

أرغان : حسناً جداً، نادي أنجليك.

توانيت : خيرٌ له أن يتوجّه إلى حجرتها، سيّدي.

أرغان : لا بل تِيْني بها.

توانيت : يتعذّر عليه تدريسها كما ينبغي، إلّا على انفراد.

أرغان : بلى، قلت : بلى.

توانيت : الصّداع يلحّ عليك، سيّدي. فلا داع لا لإزعاجك بمثل وضعك، ولا لخضخضة دماغك.

أرغان : لا، لا. أمسيت بالموسيقى مولعاً وسأرتاح جدّاً إلى ... آه، ها هي. إليك عنّي لزوجتي تجدينَها قد تزيّتْ.

المشهد الثالث

أرغان، أنجليك، كليانت

أرغان : هلمّي، يا ابنتي، لقد انصرف معلّم الموسيقى إلى الرّيف، وهوذا شخصٌ من طرفه إليك، مرشداً لك.

أنجليك : العياذ بالسّماء !

أرغان : ما بكِ ؟ لم أصابكِ منه الذّهول ؟

أنجليك : هٰذا هو...

أرغان : ما الذي خلبك هكذا ؟

أنجليك : يا لصدفة مذهلة تتحقق معي ههنا ! يا والدي.

أرغان : كيف كان ذلك ؟

أنجليك : حلمت الليلة أنّ شخصاً دنا مني فارتبكْتُ لمرآه كان على هيئة

السيّد تماماً، استنجدت به فأنجدني، من ورطتي، وهٰذا ما صادفته لدى وصولي، لذلك استحوذ عليّ ذهولٌ شديد لأنّه طيلة اللّيل كان ببالي.
كليانت : يا لشقائي إذن شاغلاً بالك نائمة يقظى ! ويا لهنائي إن رأيتني حقاً معيناً لك من ورطة. سوف لا أتوانى أبداً عن ...

المشهد الرابع

توانيت، كليانت، أنجليك، أرغان

توانيت (**بسخرية**) : سيّدي، اليوم رأيي من رأيك فٱضْرِبْ صفحاً عمّا بالأمس زعمته لك، هوذا السيّد ديافواريوس الأبُّ مع السيّد ديافواريوس الابن يشرّفان لزيارتك. إنّك به تصاهر عبقريّاً لتَبْلُوَنّهُ صبيّاً لا أبدعَ ظرفاً ولا أروعَ منه بين الآنام، بلفظتين منه سبى عقلي، وعمّا قريب سيسلب ابنتك لبَّها.
أرغان (**مخاطباً كليانت الذي يتظاهر بالانصراف**) : لا تغادِرنا أيّها السيّد، إنّي أزفّ ابنتي لخطّيبٍ، لم تَرَ قطُّ له وجهاً، حتى مجيئه الآن.
كليانت : لي الشّرف الأثيل كشاهدٍ على مقابلةٍ هكذا طريفة، أيّها السيّد.
أرغان : نطاسيٌّ بنُ نطاسيٍّ، أزفّهُ في أربعةِ أيّامٍ.
كليانت : حسناً جداً.
أرغان : نَوِّهْ به لأستاذ الموسيقى كيما يحضر.
كليانت : لن أتوانى.
أرغان : أرجو أن تشرّفنا أنت كذلك.
كليانت : إنك توليني ٱلشرف العميم.
توانيت : دَعُوْنا نصطفّ لقد وصلا.

المشهد الخامس

السيّد ديافواريوس، توماس ديافواريوس، أرغان، أنجليك، كليانت، توانيت.

أرغان (**واضعاً اليد على القلنسوة دون أن ينزعها عن رأسه**) : السيّد بورغون، منعني، أيّها السيّد، عن كشف هامتي إنّكم في المهنة وتدركون العواقب.

السيّد ديافواريوس : نحن بعيادتنا المرضى إنّما نحمل الإسعافات لا المضايقات لهم.

أرغان (**يتحاوران معاً فتارةً يتقاطعان، وطوراً يتشابكان**) : أتقبّل أيّها السيّد ...

السيّد ديافواريوس : شخَصنا إلى هنا، أيّها السيّد ...

أرغان : بغبطةٍ غامرةٍ ...

السيّد ديافواريوس : ولدي توماس و أنا ...

أرغان : تشرّفنا به وبك ...

السيّد ديافواريوس : لنُقْرِئَك أيّها السيّد ...

أرغان : لعلّي يوماً رددت لكما الزيارة ...

السيّد ديافواريوس : ذهولاً استحوذ علينا ...

أرغان : في دارك لو قدرت ...

السيّد ديافواريوس : لإنعامك علينا ...

أرغان : برهاناً منّي لك عليه ...

السيّد ديافواريوس : إحتفاءً طوقتنا به ...

أرغان : بفهمك الكفاية ...

السيّد ديافواريوس : نزيد شرفاً ...

أرغان : بحالة عليلٍ مسكين ...

السيّد ديافواريوس : شرف تحالفك معنا ...

أرغان : لا يقوى إلّا على ...

السيّد ديافواريوس : برهاناً منّا لك عليه ...

أرغان : وهنا بصريح العبارة ...

السيّد ديافواريوس : فيما يتعلّق بمهنتنا ...

أرغان : إنّه يغتنم كلّ سانحة ...
السيّد ديافواريوس : وفي كلّ مأثرة أخرى ...
أرغان : لإبلاغك إيّاه، أيّها السيّد ...
السيّد ديافواريوس : نكون أبداً على أهْبة أيّها السيّد ...
أرغان : لمدى تفانيه في خدمتك ...
السيّد ديافواريوس : ودلالةً لغيرتنا عليك (يلتفت الى ابنه ويقول له) : هلمّ يا توماس تقدّم وأدِّ تحيّاتك.
توماس ديافواريوس (**مغفّل كبيرٌ، مرتبكٌ بتصرفاته فاشلٌ في اتيار الوقت والمناسبة ــ تخرّج حديثاً من الكليَّة**) : أوّلاً الوالد أَوْلى، أليس كذلك ؟
السيّد ديافواريوس : أجل !
توماس ديافواريوس : سيّدي، أنا بادرتُ إليك، أستشفّ منك، متعلّقاً بك لأجلّ فِيْكَ، وأحثّيك أباً لي ثانياً. الأوّل ولدني وأنت اخترتني، هو قبلني احتياجاً لي، وأنت استقبلتني منّةً علي، ما كسبتهُ منه صنع جسده وما استمديتُهُ منك فعل مشيئتك، وبقدر ما سموّ الروحيّات على الجسديات أدين لك بهٰذا التبنّي العتيد فأقدرُهُ تقديراً نفيساً. لذا مثلت اليوم أمامك لأبثّك سلفاً بوادر الإكرام منّي لك، جليلةً متواضعة.
توانيت : فلتحيَ المعاهد التي تخرج إنساناً هكذا لوذعيّاً بارعاً.
توماس ديافواريوس : أما أحسنت، يا أبي ؟
السيّد ديافواريوس : بل تفوقت على المُجلِّين.
أرغان (**إلى أنجليك**) : هلمّي، سلّمي على السيّد.
توماس ديافواريوس : أألْثمها ؟!
السيّد ديافواريوس : أجل، أجل.
توماس ديافواريوس (**إلى أنجليك**) : أيّتها السيّدة، إنّ السّماء عن حقّ حقيق، دعتكِ أنت الخالة؛ « الأم الحلوة » لأنّك ...
أرغان : ليست هٰذه بزوجتي، إنّك تخاطب ابنتي.
توماس ديافواريوس : أين السيّدة إذن ؟
أرغان : على الطّريق إلينا ...

توماس ديافواريوس : أأخفّف ممّا بي حتّى وصولها ؟ يا أبي ؟

السيّد ديافواريوس : هيْه، طالما عليك بتأدية التحيّة للآنسة.

توماس ديافواريوس : آنسَتي، لا أكثر ممّا تعزف نغمة طروب، ولا أقل منها، متصاعدةً رنّانةً من تمثال « مِمْنون » الرنّان، كلّما ضربته أشعّة الشّمس الشّارقة عليه، هٰكذا أجدني منتشياً بقشعريرة رقيقة لدى إشراق شمس محاسنك، وكما يلمح الفيزيائيون زهرة اسمها دوّار الشمس وهي أبداً تدور بدوران نجمة النهار ؟ هٰكذا قلبي من الآن فصاعداً يدور بعينيك المعبودتين كنجمتين ساطعتين لأنك أنت قطبي الوحيد ... تكبّدي إذن آنستي أن أعلّق اليوم في هيكل مفاتنك تقدمة فؤاد لا يتنسّم عزّاً ولا يطمح الى مجدٍ سوى أن يكون مدى عمره لك آنستي، الزوج والخادم المخلص الخضوع أبداً جدّاً.

توانيت (ساخرةً) : هٰكذا هٰكذا معنى الدّرس، دررٌ من البديع والبيان المنثور.

أرغان : وأنت ما قولك فيه ؟

كليانت : سيّدٌ يلهج بالبدائع، جاء نطاسيّاً بارعاً على غراره خطيباً لوذعياً لحسن حظّ من يُحْسَبُ عليه عليلاً في عداد مرضاه.

توانيت : حتماً، وفي ذٰلك آياته، آياتٌ في تنظيم العقاقير، وآيات في نظم التعابير.

أرغان : إليّ، هاتي لي مقعدي، والكراسي للجميع، هنا أقعدي يا ابنتي، إنّك ترى أيّها السيّد، أنّ الجميع بابنك معجبون، وأراك سعيداً لاقتنائك هكذا صبياً.

السيّد ديافواريوس : بقطعِ النظر عن كوني والده، أيّها السيّد، أحدّث به الركبان، مغتبطاً به. وبراءة سجيّته على كلّ لسان. ما تميّز قطُّ لا بمخيّلةٍ جيّاشةٍ ولا بذهن متوقّد. كغير ما نُلاحظه لدى الآخرين. لهٰذا توسمتُ فيه أبداً ذوقاً سليماً لا غنى عنه في ممارسة مهنتنا. لم يكن، في نعومة أظفاره، لا داهيةً ولا حتى نبيهاً بل خفيض الجانب، ليّن العريكة، سكوتاً لا ينبسُّ ببنت شفة. ولا مال إلى صَبْوَة الصّبيان، ولا تعَلّم القراءة إلّا بشقّ نفوس معلّمه. حتى ناهز التاسعة ولمّا يتهجأ حرفاً واحداً. لكنّ رُحْت أردّد في نفسي : « لا بأس عليه إنّما الأشجار المتفوّقة تثمر أشهى الثمار، والنقش أبقى ولو كان أصعب

في الرّخام ممّا في الرّغام، فهٰكذا استيعاب في مَهْلة، وتخيّل في تؤدة؛ دليلُ فطنة متفتّقة ».
لمّا أرسلته للمعهد شقّ عليه ذلك لكنه جابه العقبات، أمّا معلموه فأُخِذوا بمثابرته، وامتدحوه لي، وما انفكّ يطرق الحديد حتى نال إجازاته العلميّة بكلّ اعتزاز. وأقولها دونما تبجّح : « طيلة احتلاله مقاعد الدراسة ما ضجّت المساجلات المدرسية الصاخبة بطالبٍ أكثر مما ضجت به ». بات مهيب الجانب فما بُسِطَت مناظرةٌ إلّا وقرعها بالحجة الباهرة الحاسمة، هو العنيد جدلاً كما التركيب أصلاً. لا يتخاذل بل ينفذ إلى بواطن المنطق وثناياه. وأكثر ما يروقني منه، ما يجاريني فيه انسياقاً أعمى وراء آراء الأقدمين، ضارباً بادّعاءات عصرنا عرض الحائط، عن اكتشافات وتجارب في الدورة الدموية، وغيرها من آراء بنفس العريكة.
توماس ديافواريوس (**ساحباً من جيبه أطروحته في رقعةٍ ملفوفةٍ يقدّمها لأنجليك**) : عن إذن سيّدي، أقدّم لك آنستي بنتاً من بنات أفكاري هي مرافعتي عن أطروحة أدحض فيها الرّواقين أرفعها لك عربون احترامي.
أنجليك : هي عندي من نوافل الأثاث، سيّدي، ولا عهد لي، بمثلها.
توانيت : هاتيها، نزيّن بها الحجرة، لا ضير في اقتنائها بين الرّسوم.
توماس ديافواريوس : كذلك عن إذن سيّدي، سأدعوك على سبيل التسلية إلى حفلة تشريح سيّدة، أتولّى تبرير الشّرح عنها يوماً.
توانيت : تسليةٌ مستحسنة، منهم من يستسيغون حفلة الترفيه عادةً، للسيّدات، أمّا التشريح ففيه إغراء.
السيّد ديافواريوس : وأخيراً، جرياً على أصول نطاسيّينا المرعية، بشأن القران والإنجاب أثبت أنّه على درجةٍ من زخم الإنسال جديرةٍ بالثّناء. وأنّ نظرة التوليد لديه والإنجاب عنده، طبيعةٌ راجحةٌ ناجحة.
أرغان : أليس في نيّتك، أيّها السيّد، أن تولجه البلاط وتولّجه بوظيفة الطبيب هناك.
السيّد ديافواريوس : بصريح العبارة، لم تكن لتروق لي مهنتنا مع الخاصّة هناك، لعلمي أنّه خيرٌ لنا، نحن معشر الأطبّاء، أن نلازم العامّة هنا. فالعامّة

أيسر. إذ لا حساب عليك تؤدّيه لأحد، ولا هم يتطفّلون علينا، طالما نتفنّن بهم حسب الأصول المرعيّة. وشرّ الأعيان أنّهم عندما يتوعّكون يتحاملون للشّفاء على أطبّائهم.

توانيت : عجباً عجبا، مجرّد أوباشٍ ويلتمسون الشفاء منكم معشر الأطبّاء، مع أنّكم لستم من أجل ذلك بينهم؛ فليس لوجودكم من مبرّر غير قبض المرتّبات ووصف الأدويّة، وهيهات أن يبرأوا، ما قدروا.

السيّد ديافواريوس : هٰذا هو الصّحيح ؟ ما لنا سوى معالجة النّاس بالمراسيم.

أرغان (**إلى كليانت**) : دع ابنتي تنشد الضّيوف، أيّها الأستاذ.

كليانت : بانتظار أوامرك، سيّدي، حدّثتني نفسي، للتّرويح عن الحاضرين بأن أرافق الآنسة، إنشاداً، لمشهدٍ من أوبرا صغيرة حديثة العهد.

(يناول أنجليك ورقةً قائلاً لها)إليك أنت مقطوعتك.

أنجليك : هٰذه لي أنا ؟

كليانت (**بصوتٍ منخفض لأنجليك**) : إرضي بها، ودعيني أدلّك الى مشهدٍ نؤدّيه معاً. أرجوك.

(عالياً) : ليس صوتي رخيماً، حسبي أنّه مسموع. فالتمسوا لي من فضلكم عذراً لمأزقٍ وقعت فيه، في إطلاق الآنسة بالغناء.

أرغان : لعلّها بيوتٌ من عيون الشّعر ؟

كليانت : هي بالأحرى شذرانٌ من أوبرا صغيرةٍ مرتجلةٍ نستأذن بها على سمعكم غناءً منثوراً منظوماً أو أبياتٍ حرّة نفحاتِ حبيبٍ وحبيبة، يتناغيان تلقائيّاً وعلى الفور، ينساب الكلام العذب انسياباً.

أرغان : حسناً جدّاً، فسمعا.

كليانت (**متستّراً باسم الرّاعي، يبوح بحبّه لحبيبته منذ الوهلة الأولى، بعدها يزاوجان الأفكار فكراً بفكر غناءً**) : هاكم فحوى المشهد : فيما كان الراعي مأخوذاً بروعة المنظر البديع، إذا بضوضاء تقطع عليه انجذابه اليه، التفت فإذا بوحشٍ يزجر الرّاعية بألفاظٍ نابيةٍ، للحال دبّت فيه نخوة الرجال صوناً للشّرف، وبعد تأديبه الفظّ على فظاظتهِ، خفَّ نحو الرّاعية إذا بها فتاةٌ يافعةٌ يانعةٌ تذرف أبهى الدّموع من أبهى حدقتين، فقال في نفسه : « واحسرتاه ! أو يجسرون هكذا

علي إهانة هٰكذا مخلوقةٍ لطيفةٍ، أيُّ إنسانٍ، لعمري، بل أيُّ بربريٍّ لا تراه يرقُّ لمثل هٰذه العبرات.

أكبّ يخفف العبرات الساحرات، وراحت الرّاعية في تلك الأثناء تشكره لخدمته النصوحة. باسلوبها الرقيق الشغوف الفتّان، فذهبت بالرّاعي كل مذهب. كانت كلُّ عبرةٍ وكلُّ نظرةٍ سهماً ملتهباً نافذاً حتّى الصّميم فقال: « لا شكر لمروءة؛ تُرى، أيلجم المرءُ أو يحجم ؟ تراه يستعظم الخطر أمْ يستصغره لقاءَ أُنس نفسٍ شكورةٍ أخّاذةٍ، ها المشهد الطّويل ينتهي بسرعةٍ خاطفةٍ مع الأسف ليفرّق ما بين راعٍ عابدٍ وراعيةٍ معبودة. فمن النظرة الأولى، ولوهلةٍ بنتِ ساعتها، يمضي الى بيته مشحوناً كأعنف من حشدِ الغرام في أعوام.

بات على مضضٍ يعاني آلام الوحشة والحرمان، فراح يحاول ما استطاع لملاقاة تلك التي أسرت لبّه نهاراً، وقضّت عليه مضجعه ليلاً. ولشدّة ما برّح به الغرام، عوّل على الزّواج من فتنةٍ سويّةٍ لا غنى له عنها لعيشه، فاستدرجها إلى الإذعان كتابةً بطرفٍ خفي. وفي تلك الأثناء أبلغوه أنّ أباها أبرم زواجها من آخر غيره، وأنّهم يُعدّون العدّة لحفلة العرس، تصوّروا أيّ وطأةٍ قاسيةٍ، نزلت بفؤاد ذٰلكم الراعي التعيس ! إنّه الألم المميت يتناوبه، لدى رؤيته منْية قَلبه تنسلّ، من ذراعيه، إلى ذراعي سواه، إنّما حبُّهُ اليائس تفتّق له عن حيلةٍ للولوج إلى عقر دارها للإطلاع على دخيلة راعيته، لعلّ وعسى فلقي ما كان يخشاه من إنجازات؛ على قدم وساق. ورغم لواعج حبّه — إرضاءً لنزوة الوالد، جيء بمنافسة الدّون يزاحمه على قلب الرّاعية حتى فاز بها أو كاد. يومها استشاط غيظاً، وضاق به ذرعاً، راح يرمقها بنظرات الأسى وظلّ أصم لا يسترق إليها إلا اللمحات احتراماً لها بحضرة أبيها حتّى كسر الطوق عن حبّه الجارف فأنشأ يخاطبها هكذا: (يغنّي):

فِلِسَةْ الحـــلـــــــــــــوة طـــفــــــــــح الكيـــــــــلُ
فــــــــلكِ الحـــــــــولُ ولكِ القـــــــــــــــــولُ
وبـــــــــــه مآلــــــــــي عــــــــــن آمــــالــــــــــي
رغــــــــد العــــــــيشِ نِعْـــــــــمَ الفــــــــالِ

أنجليك (تجيب منشدةً) :

ترسيسا، الحـــــزن ملء القـــــلب هاك؛
تجهيـــــزات العــــرس فاتْتنــــــا، فداكَ؛
أرفـــــع العينيـــــن أبكـــــي كي أراكَ؛
ليس لي عَيْنٌ سواكَ.

أرغان : لم أكُ أدري، أنْ بنتي على جانب من الانشاد عظيم فهي لا ترتبك في نصوص الكتاب !

كليـــانت : أسفـــاً فِلسَهْ ! فهـــوى ترْسُسَ مالَـــه حظّ،
شقـــــي يئِسَ ! أيـــن حبّـــي ؟ قلبٌ فظٌّ ...
أنجلـيك : ترسيـــاس، القـــلبُ عنـــــدي بالهـــــوى؛
بمثلِ نارِكَ إكْتوى.
كليـــانت : نثـــرتْ طُعْمـــاً ؟ جهـــــلاً، مهـــــلاً !
فِلَسهْ النُّعمــــــــــى ردّدي قولاً ...
أنجلـــيك : ترسِسَ، حبّـــي النّـــوْرَ القـــبس ...
كليـــانت : عفـــواً، فِلَسهْ ماذا آنعـــــكسَ ؟
أنجلـيك : يمـــلا الـــحَبُّ الـــرّوحَ النـــفسَ ...
كليـــانت : قولـــي الصّدقَ الحـــقَّ الحـــقّ
مئـــــةً لفظـــــاً مئـــــةً نُطْقـــــاً
أنجلـــيك : ترسسُ حبّـــي، ترسسُ قلبـــــــي،
لكَ ترسِيْسَ وَلـــــــعَ الصبِّ
كليـــانت : يا ملـــوك الأرض يا كلَّ إلٰـــــــه !
عنـــد أقـــدام الغـــرام قيسوا حبّـــي بالإلٰـــه ...
عفـــــــواً فِلَسهْ ماذا طرأ ؟
قلبـــي آنقَـــــبَض كيـــــف جرؤ ؟
كيـــــف آنتـــــفض الضدُّ نهض !!!
أنجليك : دعنـي منـه يا حبيبي لست أُدعـــوهُ قريبـــي
إنْ يمتْ أنت نصيبي

كليـانت : يـا ملـوك الأرض يــا كــلَّ إلٰـــه !
عنـــد أقـــدام الغـــرام قيســوا حبّــي بالإلٰــه ...
عفـــوأ فِلْســـة مـــاذا طـــرأ ؟
قلبـــي ٱنقَـــبَض كيـــف جـــرؤ ؟
كيـــف ٱنتـــفض الضـــدُّ نـــهض !!!

أنجليك : دعني منه يا حبيب لست أدعـــوهُ قريبـــي
إنْ يمتْ أنت نصيبي

كليـانت : تـحت أحكـام الأبـوّةْ ترضخيــن قســرَ عَنْـوةْ ...

أنجلــيك : مرحًــى مرحــى المـــوت أحـــرى
كيـــف أغْنـــو ؟ المـــوت أحلـــى
النّحـــر أشْهـــى المـــوت أولـــى

أرغان : ما كان ردّ الأب على كلّ هذا ؟

كليانت : لا شيء.

أرغان : ويا له من والدٍ أحمقَ أخرق، المغالطات على مدى سمعه والبصر ولا يعترض بشيءٍ عليها !

كليانت : أنتِ الحبُّ كلُّ الحبِّ.

أرغان : كفاك هزلاً، هٰذه أسوأ مهزلةٍ عرضت ترسيسُ راعٍ وقحٌ، وفِلسَهْ راعيةٌ متمادية في حوارٍ كهٰذا، وبحضرة الوالد، أرني هٰذه الورقة آه، ها، ترى أين كلامك من هٰذه الخطوط ؟ والنّوطة الموسيقية ؟

كليانت : فات سيّدي، أنّهم توفّقوا منذ أيّام قليلة، إلى اختراعِ تسجيل الكلام والنّوطة معاً.

أرغان : حسناً، حسناً؛ جعلت أجيرك سيّدي، فإلى اللقاء... ليتنا استغنينا عن تقديمك الأوبرا السخيفة.

كليانت : خلتني أسلّيك عن...

أرغان : سخافاتٌ لا تسلّي عن شيء... أهلاً بها... زوجتي !

المشهد السادس

بالين، أرغان، توانيت، أنجليك، السيد ديافواريوس، توماس ديافواريوس.

أرغان : أعرّفكِ على آبن السيّد ديافواريوس، حبيبتي.
توماس ديافواريوس (**يهتمّ بإلقاء تقريظ حفظه، ثمّ يتوقّف لأنّ ذاكرته تخونه**) : سيّدتي، تخلع السماء كل حقّ عليك أنت الرابّة لقب « الوالدة الفتّانة » لأن على قسماتِ وجهك رَبَتْ مسحةٌ ... من ...
بالين : إنّي في غاية الإنشراح لنزولي، أيّها السيّد، هنا نزولاً عند شرف معاينتك.
توماس ديافواريوس : ... لأن على قسمات وجهك ارتسمت ملامح ... سيّدتي، اعترضتني عند جملتي المعترضة فانقطع حبل أفكاري.
السيّد ديافواريوس : أرجئها إلى المرّة القادمة.
أرغان : ليتكِ بكّرْتِ، يا صديقتي.
توانيت : فاتكِ، سيّدتي، موقفه من الوالد الثّاني، ونصب ممنون الرنّان، وزهرة تلقّ وتدور اسمها : « دوّار الشمس ».
أرغان : هيّا، يا ابنتي، ضعي يدك بيده لتولي السيّد ثقتك به، عريساً لك.
أنجليك : أبتاه !
أرغان : حسناً، ماذا تقصدين بقولك هٰذا : « أبتاه » !
أنجليك : عفوك، مهلاً، هبنا وقتاً للتعرّف الى بعضنا لشدّ أواصر المودّة تمهيداً لتعاطفٍ متبادلٍ ووئامٍ متكامل.
توماس ديافواريوس : لا داعي للتريّث عندي، لأنَّ الإئتلاف والوئام متوفران لديّ أصلاً وفصلاً.
أنجليك : إن أنت استفزّك الحماس، سيّدي، فلست أنا كذٰلك، واصرّح لك؛ إنّ شأنك عندي لم يبلغْ بعد في نفسي موقعاً ...
أرغان : إيه، حسناً، هناك متّسع من الوقت لمراعاة الخواطر، بعدما تتزوّجان.
أنجليك : هبني اليوم، من الوقت متّسعاً، يا والدي، فالقران قيْدٌ لا يغلّ القلب عَنْوةً. إن كان السيّدُ نبيلاً فلن يرضى بالنّيْلِ منّي إذن قسراً عنّي.

توماس ديافواريوس : « نِهْ غوْ كُنْسِكْوَ تُسيَمْ » : « الإستنتاج أنْفيه »، أنا ما فتئت نبيلاً، آنستي، ما دمت من يد أبيك أتسلّمك.

أنجليك : الإرغام على الحبّ، أسوأ من الاغتصاب فيه.

توماس ديافواريوس : نطالع عن القدامى، آنستي، أنّ انتزاع البنات من دور الآباء للزّفاف عادةٌ مرعيّةٌ عندهم، لئلا يُشاع أنّهن ركِبْنَ رؤوسهنّ فأعْددن الرّجل الذي يحملهنّ على ذراعيه براضهنّ.

أنجليك : سيّدي القدامى عتقٌ، ونحن أولاد اليوم، فلا داعي إذن للقهر. إنّما ندرك عريساً يروق لنا ولا نكْره عليه إكراهاً. فصبراً، أيّها السيّد، إن كنت تهواني، فينبغي لك أن ترضى لك ما أرضاه لي.

توماس ديافواريوس : نعم، آنستي، هٰذا جلّ منأربي في حبّك.

أنجليك : أسمى آيات الحب، النزول عند آماني الحبيبة.

توماس ديافواريوس : أميّز، آنستي، فأنا من حيث الملكية مُسَلّمٌ بها؛ ومن حيث الكينونة رافضٌ لها.

توانيت : عليك بالمنطق، سيّدي، ولا حرج ! خرَّجتْه الكليّة حديثاً، فليترحرح، الباقي عليك، ولا بأس إن التحقت أنت أيضاً بجهاز الكليّة يوماً.

بالين : لعلّها ركبت رأسها !

أرغان : أراني كالهائم بينكم ! أهذا إذن دوري ؟

بالين : يا ولدي، لو كنت بدلاً منك معها، لما غصبتها على الزواج بل كان لها عندي الزفّة.

أنجليك : سيّدتي، أنا أدرك مراميك وأفهم حقّاً معانيك وإني لأتوقّع لنصائحك السّديدة فشلاً ربّما ذريعاً.

بالين : إنما العاقلات الشريفات من أترابك، لم يعدْنَ إلى أوامر آبائهنّ طائعاتٍ صاغراتٍ، كان ذلك معهوداً، لأيّام غابرة.

أنجليك : للتحذير من الفتاة والتضييق عليها، سيّدتي، حدود فلا العقل يتدخل ولا القوانين تتطرّق الى كل شاردة وواردة منها ولا إلى كل نافلة عنها.

بالين : يعني أنّك مصمّمة على الزّواج من عريس يكون عند حسن ظنّك به.

أنجليك : إن مالَ والدي، فحال دون زوجي يعجبني أقلّه لا يرغمني على الاقتران بمن أنا لا أستسيغه، هذا رجائي على الأقل.
أرغان : عذراً أيّها السّادة عمّا يجري.
أنجليك : للزوّاج مزاج؛ أنا أراه تدبيراً وقائيّاً، بالتوفيق إلى رفيق الطريق، أغمره بعوارف الحنان والحبّ، ولغيري أخلّاء يخلّون العنان لهنّ بعد تملصهنّ من ربقة الأهل. ولسواهنّ الزواج أيضاً تجارة رابحة. حيث لا ينوبهن عليه إلّا طمعاً بالمنفعة والإثراء إثر موتِ أبْعالهنّ، ومن بعل إلى بعلٍ يحشدن ما بقي من خيراتٍ على جثمان دون أدنى وازعٍ أو وجدان. فلا يراعين خاطراً ولا يعتبرن قريناً معتبراً.
بالين : ها إنّك اليوم طويلة الباع في المنطق على ما يبدو لي، فعليّ إذن أن أنطقّق لأعْرف ما وراءَ الآن.
أنجليك : ما عساه يكون ورائي، سيّدتي غير ما نطقت ؟
بالين : مغفّلة أضيق ذرعاً بها، صدّقيني.
أنجليك : سيّدتي تستدرجني الى المهاترة معها، لكني أنبئها بفرصةٍ غير سانحة.
بالين : وقاحة وجسارة.
أنجليك : عبثاً سيّدتي، مهما قلتِ ...
بالين : يمرّون بك وأكتافهم دونك تهتزّ، لشدّ اعتدادك وسخف صلفك، تنتفّض عليك.
أنجليك : لا جدوى من كلّ ذٰلك، سيّدتي، فسأبقى صاحية لك، رغم أنفك، وإراحةً لبالك أتوارى عن ناظريك ليبقى غلّك في قلبك.
أرغان : إسمعيني، فلا حلّاً وسطاً لك، عيّني زفافك قبل أربعة أيّام، إمّا نزفّك الى السيّد، وإمّا إلى الدّير نُهدِّيك. (متوجّهاً الى بالين) خفّضي عليك، أنا أحسن ترويضها.
بالين : عليّ بمغادرتك، يا بنيّ، ففي المدينة ما يستدعيني، وسأعود حالاً.
أرغان : روحي يا روحي، ثمّ عرّجي على الكاتب العدل ليعجّل لك ما لا ينفكّ ببالك.

بالين : إلى اللّقاء، يا صاح.
أرغان : إلى اللّقاء، يا صويحبتي. هذه زوجة تعشقني ... إنّ في الأمر لعجباً.
السيّد ديافواريوس : عفوك، أيّها السيّد، نستأذنك بالإنصراف.
أرغان : أرجوك سيّدي، حدّثني قليلاً عما يُصيبني.
السيّد ديافواريوس (**جاسّاً له نبضه**) : هلمّ يا توماس، عليك بذراع السيّد الأخرى، أرنا بدعك في معاينة نبضه، ماذا تقول ؟
توماس ديافواريوس : أقول إن نبض السيّد كخفقان إنسانٍ عليل.
السيّد ديافواريوس : حسناً.
توماس ديافواريوس : إنّه متصلّبٌ أحرى منه صلْباً.
السيّد ديافواريوس : حسناً جداً.
توماس ديافواريوس : إنّه متداخلٌ.
السيّد ديافواريوس : قولٌ مَبينْ.
توماس ديافواريوس : ضاربٌ إلى الزُّحْمة.
السيّد ديافواريوس : ممتاز.
توماس ديافواريوس : يغمز من غدده؛ أقصد المرارة.
السيّد ديافواريوس : حسناً جدّاً.
أرغان : كلّا إنّما العلّة في كبدي، حسب رأي السيّد بورغون.
السيّد ديافواريوس : أوه، نعم، بقولنا الغدد نعني الإثنين معاً نظراً لتطابق أنبوب الجوف والراحية المعدية السفلى بمشيج السّوداء، لا بدّ أنّه أمرَ لك بلحم سيّما المشاوي ؟
أرغان : كلّا، ليس إلّا المغالي.
السيّد ديافواريوس : المشاوي منها كالمغالي، نفس الشيء. وما أمر بها إلّا من باب الحيطة والحذر، لا بأس عليك بين أيد أمينة.
أرغان : كم حبّة ملح لبيضةٍ سيّدي ؟
السيّد ديافواريوس : ستٌّ، ثمانٍ إجعلها عشرَ حبّاتٍ؛ عدداً شفعاً. لا إسوةً بحبّات العلاجات بل على خلافها؛ أعداداً وتريّة.

المشهد السابع

بالين، أرغان

بالين : عدت أدراجي، لأحيطك علماً بأمر تتنقّز منه. فلدى مروري بحجرة أنجليك، ألفيت معها شاباً، أوّل ما رآني، ولّى مُدْبراً.
أرغان : مع ابنتي شابٌ ؟
بالين : نعم، إبنتك الصّغرى أيضاً كانت هناك، لعلّ لويزون تزوّدك إذن بأخبارها.
أرغان : ناديها لي، أرسليها يا حُبّي، يا للوقحة لم أعد أستغرب عنادها !

المشهد الثامن

لويزون، أرغان

لويزون : ما بك، يا بابا ؟ قالت لي خالتي، أنّك في طلبي !
أرغان : نعم، تعالي، قرّبي دوري، علّي عينيك، تفرّسي فيّ أوه !
لويزون : ما بكَ، يا بابا ؟
أرغان : هٰكذا ؟
لويزون : ما بك ؟
أرغان : لا شيء عندكِ تروينه لي ؟
لويزون : بلى؛ حكاية « فروة الحمار » أو مثلاً حفظته منذ حين لمؤانستك : « الغراب والثعلب ».
أرغان : ليس هٰذا ما أنا في طلبه.
لويزون : ماذا ؟ إذن ؟
أرغان : يا للمحتالة، تعلمين تماماً ما أريد سماعه.
لويزون : عفواً، بابا !
أرغان : أهٰذه طاعتكِ لي ؟

لويزون : فيمَ ؟ أُلبِّيكَ !
أرغان : في ما يخصّ تقصّي الأخبار، كلّما تسنّى لكِ كما أوصيتك أنا !
لويزون : لبّيك، بابا !
أرغان : هلّا أطلعتني عليها ؟
لويزون : أجل، يا بابا، كنت ألقّمك إيّاها حالما يقع عليها نظري.
أرغان : أما وقع نظرك اليوم، على شيء يذكر ؟
لويزون : يا بابا، لا شيء يذكر !
أرغان : هٰكذا حقّاً.
لويزون : هٰكذا حتماً.
أرغان : هٰكذا إذن، لعلّي أذكره لك أنا.

(يتناول حزماً من العصيّ).

لويزون : أوّاه، يا بابا !
أرغان : أو تكتمين عنّي، يا عفريتة، مشاهدة الشاب داخل غرفة شقيقتك.
لويزون : أوه ِ، يا بابا !
أرغان : هٰذا يعلمك الخداع.
لويزون (**جاثية**) : أوه ِ، سامحني، يا بابا، أختي منعتني من الوشاية إليك لكني سأروي كيت وكيت ... كاملاً.
أرغان : الجلد أوّلاً، لكذبك، بعده البقيّة تأتي.
لويزون : عفوك، بابا، سامحني، يا بابا.
أرغان : لا، كلّا.
لويزون : لا تجلدني، أُعْفُ عنّي، مسكينٌ أنتَ، يا بابا.
أرغان : لا مناصَ منها. خذيها مني.
لويزون : رفقاً بي، بالله عليك !
أرغان (**يمسكها ليجلدها**) : هيّا هيّا.
لويزون : مهلاً أوّاه، يا بابا، قد أدميتني، أنّي أهلك (تتظاهر بالموت) لقد هلكت.
أرغان : أوّاه ما حلّ بك، أوه لويزون، لويزون، ربّاه لويزون، واحسرتاه ابنتي،

واتعساه بنتي المسكينة ! ماتت ! ماذا فعلت بها أنا الشقّي، أوّاه ! أوّاه ! لعنة الله على القضبان، لها الويل، أوّاه يا ابنتي المسكينة، بنتي التعيسة، لويزون.

لويزون : ها ها ها، يا بابا، لا تذرف الدموع الحرّى فأنا لم أمت تماماً !

أرغان : أرأيتم هٰذه المحتالة الصغيرة ؟ أسامحك هٰذه المرّة إن سردت عليّ الأمر بحذافيره.

لويزون : نعم وهو كذٰلك.

أرغان : إحذري جيداً إصبعاً عندها كلُّ الأخبار، ولسوف تفضحك كلّما تعثّرت أو كذبت.

لويزون : أخبرك، فلا تشِ بي لأختي !

أرغان : لا، كلّا.

لويزون : ثمّة، يا بابا، فتى حضر إلى غرفة شقيقتي أثناء وجودي فيها ...

أرغان : حسناً ؟

لويزون : سألته عمّ يسأل، قال إنّه معلّم الموسيقى للشّقيقة.

أرغان : زه زه، تلك قصّته إذن، حسناً وبعد ؟

لويزون : بعده وصلت شقيقتان.

أرغان : حسناً مِنْ بعده ؟

لويزون : صاحت به أختي: « أخرج أخرج أخرج، يا الٰهي أخرج، إنّك هٰكذا تحرجني ».

أرغان : حسناً بعده؛

لويزون : أمّا هو فلم يرد أن يتزحزح.

أرغان : بماذا كان يحدّثها ؟

لويزون : كان بشتّى الأمور، يحدّثها ... من أين لي أن أعرف ؟ ...

أرغان : وماذا أيضاً ؟

لويزون : ... كيت وكيت ... قال يعشقها، قال إنّها أحلى الناس في ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : ثمّ جثا على قدميها ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : يلثم يديها ...
أرغان : ثمّ ماذا ؟
لويزون : ثمّ الخالة مثلت بالدّار فولّى الإدبار.
أرغان : لا شيء غيره ؟
لويزون : لا شيء بابا.
أرغان : هوذا الأصبع الصغرى تهمس في أذني (يضع إصبعه عند الأذن) : مهلاً مهلاً، نعم آه، ها؛ نعم آه إنّها تلمّح إلى أشياء شاهدتها ولم تعلميني بعد بها ! ...
لويزون : أفٍّ، يا بابا، إصبعك الصغرى كذّابة، يا بابا.
أرغان : حذار !
لويزون : كذّابة، يا بابا، لا تصدّقْها هي كذّابة.
أرغان : آه، طيّب، سنرى ذلك، انصرفي وتسقّطي لي كلّ شاردة ... إنطلقي ...
حسبنا الطفلة ذهبت ... خلا الجو والمشاكل تتراكم؛ ويضيق بي الوقت ولو لبعض شأني. لم أعد أستطيع الاحتمال.

(يستوي في مقعده)

المشهد التاسع

بيرالد، أرغان

بيرالد : إيْه، أخي، ما بك، كيف الحال ؟
أرغان : أوّاه، شقيقي، على أنحس حال.
بيرالد : أنحس حال ؟ وهل هٰذا بالبال ؟
أرغان : أجل، في حالة من الوهن تجاوزت المعقول.
بيرالد : مسألة بها تستدر الشفقة.
أرغان : خانتني قواي، ما أشقاني ! فقد أعياني حتى لساني.

بيرالد : قصدتك، يا أخي، بنصيب أعرضه عليك لابنة أخي؛ أنجليك.

أرغان (**يقوم من مقعده مغضباً**) : دع الكلام، شقيقي، عن هذه الوقحة، المحتالة النزقة المشاغبة، أزجها في الدير قبل انقضاء اليومين.

بيرالد : حسناً، حسناً لقد ارتحت الى حيويتك، فزيارتي نفعتك. نحِّ همومك عنك، يا أخي وافتح قلبك للسلوى واشرح صدرك ليصفو ذهنك تمهيداً لمعالجة شؤوننا سوية بتؤدة لذلك، يا أخي، سقت إليك زمرة مصارّ صادفتهم بأزياء المغاربة همّهم الرقص والغناء ولن تعتّم أن ترتاح إليهم كثيراً في مشاهدتهم ارتياحك الى وصفة يصفها لك السيّد بورغون. هلّموا بنا...

الفصل الثالث

المشهد الأول

بيرالد، أرغان، توانيت

بيرالد : إذن، يا أخي، ما رأيك فيها، أليست بمثابة شطفةٍ من شطفات القرفة ؟
توانيت : شطفةٌ من باب أوّل البابات !
بيرالد : والآن أين نحن بأيّ طرفم من أطراف الحديث ؟
أرغان : مهلاً رويدك، شقيقي ريثما أعود.
توانيت : هاك سيدي، ألا تفطن أنّك بدون عكازٍ لا تسير.
أرغان : الحقّ معك.

المشهد الثاني

بيرالد، توانيت

توانيت : من فضلك، لا تتغافل عن شؤون بنت الشّقيق !
بيرالد : أبذل قصارى جهدي، لتحقّق مناها.
توانيت : تفادياً لزواج متهوّر، عند نزوته، هو، رحت أُحدّث نفسي عن طبيبٍ يناسب ويناصرنا نحن على سيده بورغون علّنا به نسوّد صفحته ونثير اشمئزازه

عليه، ولعسرِ إعداد مثل هٰذا الشّخص عوّلت أن ألعب الدور على كفالتي أنا.
بيرالد : كيف يكون ذلك ؟
توانيت : نتركه رهن الصدف، مخيّلةٌ تصوّر، وفطنةٌ تدوّر دعنا؛ أنا أتصرّف وأنت تتحرّك. هوذا صاحبنا يطلّ علينا.

المشهد الثالث

أرغان، بيرالد

بيرالد : لعلّي، يا أخي، ألتمس منك أوّل ما ألتمس، إن شئت ألّا تستسلم للغيظ فيما نتحاول بيننا !
أرغان : قضي الأمر.
بيرالد : وألّا تتبرّم امتعاضاً منّي جواباً على ما سأعرضه عليك.
أرغان : نعم.
بيرالد : وأن نعمل معاً الرويّة في شؤون نتداولها بروحٍ منزّهة عن كلّ نزوة.
أرغان : ربّاه، طيّب. كفاك تمهيداً.
بيرالد : يا أخي، وأنت ما أنت عليه من بحبوحةٍ، وما حيلتك سوى بنتٍ، إذا ضربنا صفحاً عن الصّغرى، فمن أين لك، إذن، هٰذا اللغط عن إقحامها في دير ؟
أرغان : من أين لي، شقيقي، أن أكون السيّد المطلق أعمل ما أراه خيراً للأسرة ؟
بيرالد : هكذا إذن لا تنفكّ المصونة تحرّضك للتّخلي عن الابنتين ! لا شكّ أنّ روح المحبة تنهزّ أعطافها طرباً لرؤيتهما راهبتين نصوحتين !
أرغان : هٰكذا إذن توصلْتَ إلى إقحام السيّدة المسكينة، حتى باتت هي أصلَ البلاءِ، وعليها نقمةُ الجميع !
بيرالد : كلّا، يا أخي، ما لنا ولها، فخير نواياها مسلّطة على أفراد الأسرة، فهي بنزاهةٍ مجرّدة من كل مصلحة ذاتيّة تغمرك بعطف عجيب غريب، وتطوّق

الابنتين بلطفٍ وحنانٍ يفوقان الادراك. الأمر مفروغ منه. دعنا منها، ولنعد الى سيرة البنت؛ فعلى أيِّ بُنيَّ، يا أخي، تريدُها زوجةً لطبيبٍ ابْن طبيب ؟
أرغان : تحققاً لفكرة طرأت لي زيّنتُه لي صهراً حسب الطّلب.
بيرالد : ثمّة نصيبٌ، يا أخي، أصلح لابنتك، بينما هٰذا لا يناسبها البتّة !
أرغان : بلى، هو الأنسب عندي، يا شقيقي،
بيرالد : أمن المفروض في العريس أن يكون لك أو لها، يا أخي ؟
أرغان : يكون لي، شقيقي، ولها، ولقد عقدت النيّة لأحشدنّ في أسرتي، كلَّ الذين أفتقر إليهم أنا.
بيرالد : وهلمّ جرّا ... فلو الصغيرة كبيرة لزوجتها إذن من الأجزّائي ؟!
أرغان : ولم لا ؟
بيرالد : أمن الممكن أن تمسي بالصيادلة وبالأطّباء مولعاً لتمرض رغم أنوف الناس وغصبَ الطّبيعة ؟!!
أرغان : ماذا تقصد، يا شقيقي ؟
بيرالد : أقصد، يا أخي، أنّي لا أجد أمرأ مثلك تبرّأ من العلل، فإنّي لا ألتمس لنفسي أعفى من عافيتك، ودلالةً على سلامة صحّتك واستحكام خلقتك، أنّك مهما عالجت نفسك تقصّر عن إزعاج مزاجك دون قصع شبابك، وها أنّك لم تنشقَّ بعد رغم كثرة الشّطفات التي مارسوها عليك.
أرغان : ألا تدري، شقيقي، أنّي بها أحافظ على رشاقتي وعلى رأي السيّد بورغون؛ إنّي لولاها لهلكت في اليوم الثالث ؟
بيرالد : حذار منه، وإلّا صبّ عليك جام حرصه وأرسلك الى العالم الآخر.
أرغان : دعنا، شقيقي، نتروّى بعض الشيء، ألا تثق بالطبّ قليلاً ؟
بيرالد : أبداً مطلقاً، يا أخي، ولا أخال سلامتي متوقفةً على هٰذه الثقة.
أرغان : ماذا ؟ أتستنكر أمراً يقدّره كلّ النّاس ؟ وكلّ العصور تعتبره حقيقةً راهنةً.
بيرالد : لست بحاجب ثقتي فحسب بل أجد الطبَّ أفدح الحماقات بين الملأ، ولا أرى أسخف منه مهزلةً ولا أدنى من امرئ راح يتطفّل على امرئ لشفائه، سيّما اذا نطرنا اليه نظرةً فلسفيةً.

أرغان : لماذا، يا أخي، لا تتوخّى شفاءً من مرء لمرءٍ ؟
بيرالد : إستناداً الى دواخل طبعنا الذي تكتنفه الأسرار والمعميّات، حتى أيّامنا هٰذه، فلا النّاس يوفّقون إلى اليسير اليسير منه ولا الطبيعة تنفرجّ لهم عن ستائرها الكثيفة للأخذ من العلم ولو بطرفٍ ضئيل.
أرغان : يعني، أن الأطباء، في نظرك، إنّما يهرفون بما لا يعرفون.
بيرالد : تماماً، يا أخي، أولاء الآخذون من كلّ حرفٍ بطرف، من اللاتينيّة القانونيّة، الى اليونانيّة الطبيّة تسميَةً للعلل وتحديداً وتصنيفاً لها ما عدا التداوي بها؛ فإنّهم في منأىً بعيد عنها.
أرغان : ... طالما نحن متّفقان على حسن دراية النّطاسيّين وبراعتهم في هٰذه الأمور، أكثر من غيرهم ... فلا بأس عليهم.
بيرالد : كما نوّهت لك بمعارفهم إنّها لا تُغْني عن وعكة ولا تُغْني فتيلاً؛ وليس من فضلٍ لتنطّسهم إلّا بعباراتٍ عويصة طنّانةٍ وزمزماتٍ مدبّجةٍ تنشر المسبِّبات كلاماً عديداً، والمسبَّبات مواعيدَ.
أرغان : حسناً، يا شقيقي، ثمّة خلقٌ لا يقلُّون عنك لا فطنةً ولا دهاءً، وعند العلّة يرتدّون الى الأطباء شأنهم شأن كلّ بني البشر.
بيرالد : تلك أمائر الضّعف البشري، لا الشّهادة لهم على صدقّ فنّهم.
أرغان : علّهم لا يرتابون يوماً في صدق فنّهم، فيما يمارسون على ذواتهم.
بيرالد : لعلّ في ظهرانَيْهم من يستفيدون من انجرافهم في تيّار شعبي عارم، مع أنّ غيرهم ما عدموا الفائدةّ المتوخّاة دون أن ينغمسوا فيه بالضّلال. هاك السّيد بورغون مثلاً. هو على غلاظته نطاسيٌّ من أمّ رأسه الى أخامص قدميه وله ركزات يرتكز اليها أكثر من قناعاتٍ رياضيةٍ يبرهن لها، والجرم كل الجرم، الطعن في الطبِّ، حيث لا غموض ولا شكّ ولا عسر فيه. بل بلباقة الإستدراك وتلافي الأمور، يتزعزع ثقةً ويسمج ذوقاً ورأياً في معالجاته. مسهلات البطن وتفصّد الدّم دون أن يقيم حضرته أدنى وزن لهما. فلا ضير عليه ممّا يصيبك منه إنّه بأضعف الإيمان، ينفض يديه منك، ولا بأس عليك إن وقعت ضحيّةً له في ما زوجته وأولاده وقعوا، وحتى هو نفسه إذا لزم الأمر يقع ولا شكّ.

أرغان : هٰذا لأنك تحقد، منذ نعومة أسنان الحليب عليه. فما ترى، حيلة المريض معه لعمري ؟
بيرالد : لا شيء، يا شقيقي.
أرغان : لا شيء ؟
بيرالد : لا شيء، البتّة؛ الإخلاد الى السكون أولى؛ فالطبيعة من تلقاء نفسها تتكفّل بتنظيم الفوضى الطارئة، كلّما تركناها وشأنها. إنّما القلق وقلّة الصّبر مدعاة للإضطراب. فمعظم الأنام لا يهلكون بالعلل بل بعقاقيرهم.
أرغان : نحن متّفقان، يا شقيقي، طالما نهبّ لإسعاف الطّبيعة في شتّى الأمور، ونساندها.
بيرالد : ربّاه، كم من رأي نلوكه في سرّنا، يا أخي، فالبشريّة لا تُعْدم من مخيّلاتٍ فتّانةٍ، تخلب لبّنا، تتملّقنا وكانت سراباً. إسمع نطاسيّاً يحدّث عن مساندة الطّبيعة بازالة ما يعيبها، وترجيح ما ينقصها، لتنظيمها، بإعادة نشاط وظائفها فلا حرج عليه إن ذكر لك سَدَدَ الدّم، وتلطيف جوّ الأحشاء، والدّماغ وتفريغ الطّحال، والتئام الصدر، وترميم الكبد وإنعاش القلب، وضبط الحرارة الطّبيعية، والمحافظة عليها والتلاعب بأسرار تمديد الرمق الأخير إلى سنين مديدة؛ تراه؛ يسرد عليك سيرة الطبّ في طرفة عين، وعندما يصحّ الصّحيح ويأزف أوان الإختبار لا تختبر شيئاً منها. كأنّها أحلامٌ رائقةٌ لا تخلّف لك في اليقظةِ سوى غصّة انطلاءِ الحيلة عليك.
أرغان : في رأسك معارف الدنيا لتنافس نطاسيّي زماننا العظام ؟
بيرالد : عُظَماء خطابة، بُلَهاء طبابة إلى فئتين : أبرع النّاس هذراً، وأحمقهم خُبراً. هؤلاء هم أعظم النّطاسيّين في نظرك.
أرغان : إيه منك، أراك علّامة جهبذاً ! ليتهم فاجأوك بسيّدٍ من سادتهم، إذن لسَفّهوا تفكيرك وخفّفوا من غلوائك.
بيرالد : لا، يا أخي، ما أخذت على عاتقي مناوأة أولاء السّادة الأطباء، كلّ وشأنه، إن سعداً وإن نحساً؛ إنّه مجرّد حديث في سرّنا لا يذاع. إنّما توفيراً للتسلية عليك، وتنفيساً لكربتك، تمنّيت مرافقتك الى ملهاة موليير تتفرّج بها، في موضوع كهٰذا حرفيّاً.

أرغان : ممثّل وقح في هزليات سمجة، لا أجد موليبراً إلّا ألعوباً ساخراً، في تقليده أدوار أولاء الحكماء الأشراف.

بيرالد : إنّه لا يتقلّد الأطبّاء بالذّات بل يسفّه سخافتهم.

أرغان : شأنه التندّر على الطبّ والتطبيب، يا له من مغفّل وقح يتناول الشّخصيات والوصفات بالسخريّة متحدياً الجسم الطبّي فهو لا يبرح يتمادى على مسرحه مجرّحاً الشخصيات الأماثل على شاكلة هؤلاء الأسياد !

بيرالد : وما عساه يتناول غير تفاوت المهن بين الناس ! لقد شبعنا ماّ يعرض يومياً من أمراءَ وملوكٍ هم أيضاً من سلالات عريقةٍ على شاكلة الأطبّاء.

أرغان : أعوذ بالله... أعوذ بالله من الشّيطان، لو أنّي بدل الأطباء إذن لانتقمت من سماجته؛ أتوقّع له أن يعتلّ، ومتى فعل، أتركه يفطس دون أن أمدّ له يد المعونة. ومهما تودّد وأطلق من طرف اللسان حلاوةً، ما وصفت له أدنى فصيدة عِرْقٍ، أو شطْفةِ معدة، بل أصرخ به: « ليتك تنشقّ وتفزر، هٰذا يلقّنك درساً في التّمثيل على حساب الطّب ».

بيرالد : ها إنّك تستشيط غضباً عليه !

أرغان : نعم، وما على الأطباء، إن كانوا حكماء، سوى أن يتقيّدوا برأيي فيه، فهو رجلٌ، « ابن الهلاك ».

بيرالد : لكنه أحكم من كافة حكمائك على ما يبدو ولن يمدّ يده نحوهم أو يستنجد بهم، ولا مرّة.

أرغان : إن أدار وجهه عن الاستشفاء، فلسوء حظّه.

بيرالد : عذره في الحرمان؛ اقتناعه من أنّ للأقوياء الأصحاء وحدهم الحقَّ على التداوي لتمتّعهم بقوّةٍ احتمال الأدوية مع معاناة المرض، أمّا هو فإنّه يكاد يطيق مرضه، فكيف إذا كان معه الدّواء ؟

أرغان : ما هٰذه سوى أعذارٍ أقبح منها ذنوباً. حسبك، يا شقيقي، دعنا من هٰذا الرجل، الحرارة آخذةٌ بالمرارة، وأنتَ السبب في تفشّي وجعي.

بيرالد : أجل، ما لنا وله، يا أخي، وتغييراً لمجرى الحديث أقول لك : « إنّك لست مرغماً على زجّ بنتك في ديرٍ، من أجل ما بدر منها من تبرّم بأوامرك؛

ولا ينبغي لك التّغاضي، بمجاراة نزوتك، عن مراعاة هواها، لأنها مسألة حياة تناط بها سعادة الزّواج ».

المشهد الرّابع

السيّد فلوران (بيده الحقنة)، **أرغان، بيرالد**

أرغان : عفوك، شقيقي !
بيرالد : ما بك، ماذا تفعل ؟
أرغان : أهمّ بشطفة صغيرة، في طرفة عين.
بيرالد : ما هٰذا العبث ! ألا تستغني لا عن شطفةٍ ولا عن علاجٍ لبرهة، أرجئها الى مرّة ثانيةٍ، ألا رويدك، توخّ الراحة.
أرغان : عِمْ مساءً، أيّها السيّد فلوران، أو الى الغدّ في غير آن.
السيّد فلوران (إلى بيرالد) : أتمانع في إجراء الوصفات الطبيّة، وتمنع السيّد من غسلةٍ أشطفه بها ؟ إنّها لدعابةٌ جسورةٌ من طرفك !
بيرالد : إليك عنّا، أيّها السيّد، من الواضح أنّك لم تعتد الحديث الى الوجوه.
السيّد فلوران : لا عبثاً بعلاج، ولا تبديداً لوقتي، أنا ما حضرت إلا تنفيذاً لأوامر مشدّددة. وسأبلّغ السيّد بورغون أنّه حِيْلَ، بيني وبين تنفيذ الأوامر، وتأدية الوظيفة، وقد أُعْذِرَ من أنذر.

(ينصرف للحال).

أرغان : ستكون، شقيقي، علّة شرّ مستطير.
بيرالد : حقاً، يا أخي، إهمال حقنة السيّد بورغون، هي أفدح الشرور ؟! أحقاً، عُدمْت أيَّ وسيلةٍ لشفائك من علّة الأطبّاء ؟ أم يطيبُ لك أن تبقى، عمرك، مدفوناً في عقاقيرهم ؟
أرغان : ربّاه، شقيقي، كلامك كلام صاحب صحّةٍ وعافية، فلو كنت بدلي لبدّلت كثيراً من لهجتك، من السّهل التهجّم على الطبّ بينما الصّحيح يرفل بقميص العافية.

بيرالد : بحقّك ما هي علّتك ؟
أرغان : إنّك هٰكذا تثير حفيظتي، ليتَ مصيبتي مصيبتك؛ لنرى بعدها، مدى هرجك ومرجك ! إيه هوذا السيّد بورغون آتياً بنفسه.

المشهد الخامس

السيّد بورغون، بيرالد، أرغان، توانيت

السيّد بورغون : أنبئت ثمّة أنباء سارةً، عند الباب، مفادها أنّ وصفاتي عندكم هُزأةٌ، والموصوف من عَقّاري، منبوذ هٰهنا.
أرغان : أيّها السيّد، ما هو إلّا ...
السيد بورغون : هي الجسارة بعينها، مريضٌ يشقّ عصا الطّاعة على طبيبه، يا للعجب !
توانيت : يا للفظاعة ؟!
السيد بورغون : لغسولٍ مكيفٍ على كيفي، وهو من صنع يدي.
أرغان : ما أنا بـ ...
السيد بورغون : مؤصّلٌ على الأصول فنّياً، غسولٌ، مشغولٌ، محلولٌ ...
توانيت : الحقّ عليه.
السيد بورغون : من شأنه أن يفعل فعلته الحسناء في الأحشاء.
أرغان : إنّه شقيقي.
السيد بورغون : وفي إخلاء سبيلهِ ازدراءٌ به.
أرغان : إنّه، هو.
السيد بورغون : فظاعة !
توانيت : هٰذا الصحيح.
السيد بورغون : دسيسة على الطبّ عظيمة.
أرغان : هو العلّة ...
السيد بورغون : جريمة استهتار بالكليّة الطيّبة، ولا عقاب يفي بالاقتصاص منها ...

توانيت : الحقّ معك.

السيد بورغون : ها إنّي، على رؤوس الأشهاد، أجاهر بقطع العلاقة بك ...

أرغان : ذاك شقيقي.

السيد بورغون : إنّي، أستنكف عن شدّ أواصر المصاهرة معك.

توانيت : حسناً تفعل.

السيد بورغون : ومن أجل فصْم كلّ الأواصر، هاك وِصْراً رصدته لزواج ابن شقيقي.

(يمزّق صكّ الهبة بكلّ حدّة).

أرغان : شقيقي أصل البليّة.

السيد بورغون : استهتار بالحقنة.

أرغان : عليَّ بها، إستدعه ليعطنيها.

السيد بورغون : كنتُ عَما قريبٍ، أخرجتك من ورطتك.

توانيت : إنّه غير جديرٍ بها.

السيد بورغون : أوشكتَ أن أنظّف بدنك، مطلقاً أخلاطه العفنة للخلاص منها لمرّة.

أرغان : آه منك، شقيقي !

السيد بورغون : ذرّينة توضئات بعد، لأسْلُتَة دُوّارة جوفك من قعرها.

توانيت : غير جدير بعنايتك.

السيد بورغون : لكنّك حيث أبيت الشّفاء، عن يدي ...

أرغان : ليست غلطتي.

السيد بورغون : وحيث شقّيت عصا الطاعة عن طبيبك ...

توانيت : هٰذا يستصرخ الإنتقام ... الإنتقام.

السيد بورغون : وحيث أعلنت العصيان على العقاقير المعيّنة ...

أرغان : لا، أبداً.

السيد بورغون : قلتُ أخلّيك معطوباً في بنيةٍ رديئةٍ، وأحشاءَ مضطربة، ودم متقذّر، ومرارةٍ محتدمةٍ، ومزاج عكر ...

توانيت : هٰذا أفضل من رعايتك له.

أرغان : ربّاه !
السيد بورغون : لعلّي قبل انصرام أيّامك الأربعة، أخلّيك في حالةٍ يُرثى لها.
أرغان : أوّاه، رحماك !
السيد بورغون : أتركك فريسة عملية هضمٍ سقيمة.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن هضمٍ متقطّعٍ سقيم، الى انقطاع هضمٍ ذميم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن إسهالٍ وخيم، الى استطلاقٍ مُديم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن استطلاق مُديم، الى زحارٍ لئيم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن زحار لئيم، الى موتٍ زؤامٍ أليم، الى حيث يُفضي بك جنونٌ رجيم.

المشهد السَّادس

أرغان، بيرالد

أرغان : أوّاه، ربّاه، لقد هلكت، شقيقي أنت أجهزت عليّ.
بيرالد : ما بك ؟ ما الأمر ؟
أرغان : لم أعد أطيق الاحتمال، هوذا الطبُّ آخذٌ بالتشفّي منّي، الويل لي.
بيرالد : إنّك وآيم الحقّ، يا أخي، إنسانٌ مخبولٌ، ثمّة أمورٌ، وأمورٌ تمارسها أنت، أو يمارسونها عليك. لا تروقني فيك. جُسَّ نفسك قليلاً، أرجوك تمالك روعك، ولا تشرد هكذا سارحاً بمخيّلتك.
أرغان : أرأيت، يا شقيقي، كم تهدّدني بالويل والثّبور وعظائم الأمور ؟
بيرالد : يا لك من إنسان قصير الإدراك !
أرغان : زعم، يا شقيقي، أنّه سينفض يده منّي قبل الأيام الأربعة !

بيرالد : وما عساه يبلغ بك زعمه ؟ أمن شفتيه مهبط الإلهام، يخيّل إلى سامعك أن السيّد بورغون، بسلطته المطلقة يقبض بيديه على شبكة أيّامك، يمطّها أو يصرّها على هواه تصوّر أنّ مقاليد عمرك منوطةٌ بك، وحدك، وأنّ غيظَ السيّد بورغون مهما استشاط عليك يعجز عن صرعك كما يعجز عن برئك فإذا رمت التملّص، من ربقة الأطبّاء تذرّعْ بهٰذه الحيلة، ما لم تكن ولدت؛ ومقاليد أمرك في أيديهم، يمكنك والحالة هذه أن تلتحق، يا أخي، بآخر غيره لا يورّطك هٰذه الورطة.

أرغان : أوّاه، شقيقي، هو بدخيلة طبعي أدرى وبسياسة أمري هو أعلم.

بيرالد : لا بدّ لي من الإقرار بسرعة حِسّك المدهشة وبصدق فراستك، باستشفاف الأمور العجيبة الغريبة.

المشهد السابع

توانيت، أرغان، بيرالد.

توانيت : سيّدي، بالباب طبيبٌ يلتمس الدخول عليك.

أرغان : من الطبيب ؟

توانيت : نطاسيّ متنطسٌ.

أرغان : أسألك من ترينه يكون ؟

توانيت : لست أعرفه، بيد أنّنا نتشابه كنقطتين ولولا المصونة لقلت إنّه شقيقٌ صغيرٌ شقّته لي الوالدة منذ غيبة الوالد.

(هنا تخرج توانيت).

بيرالد : خدمةٌ غبّ الطلب؛ طبيبٌ يفارق، وآخر يوافق.

أرغان : أخشى من علّة شرّ مستطير.

بيرالد : لقد عدْت إلى نفس النغمة: « الشرّ المستطير ».

أرغان : تجدني مطموراً بشتّى العلل، وهي لا تنفَكّ تتقاذفني... ذلك...

المشهد الثامن

توانيت (متنكّرة كطبيب)، أرغان، بيرالد.

توانيت : إنّ سيّدي، يتفضّل عليّ، بقبول زيارتي له، لعلّي أبذلُ نفسي لقضاء حاجاته الماسة؛ من فصدٍ إلى شطفٍ...
أرغان : عليّ سيّدي فضلك العميم. لعمري ما هو إلّا توانيت بالذّات.
توانيت : عفوك سيّدي، سأرجع لعيادتك ريثما أسند مهمّة نسيتها لخادمّي، إلى اللّقاء.

(تنصرف توانيت على الأثر).

أرغان : إيْه ! بداهةً، ألا يتراءى لك أنّه توانيت حقّاً.
بيرالد : صحيح، الشبه كبير، وغالباً ما نعهده في القصص التي لا تغصّ إلا بمثل أفانين الطّبيعة هٰذه.
أرغان : من جهتي لقد تملّكتني الدهشة فحيّرتني...

المشهد التاسع

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت (**وقد خلعت ملابسها الطبية بسرعة خاطفة يصعب معها التصديق بأنها هي التي ظهرت بمظاهر الطّيب**) : أمر سيّدي.
أرغان : كيف !
توانيت : أما ناديتني ؟
أرغان : أنا ؟! كلّا.
توانيت : هٰذا إذن هدير النّفير في أذني، يهتف لي ويدقّ لي.
أرغان : مهلاً، ريثما ترين كم الطّبيب يشبهك.
(وهي منصرفة) : آه، حقّاً، ثمّة لي شغلٌ شاغلٌ، أنا عاينته طويلاً.
أرغان : لو آنّي لا أعاينها فردَ مرّة، لقلت؛ إنّهما فردان وفردي.

بيرالد : كم طالعتني، المذهلات المدهشات، في مطالعاتي عن مثل هذه المحاكاة، وما عهدناها من مضاهاة في زماننا، قد انطلت على الجميع.
أرغان : وكادت أن تنطلي عليّ، وكدت أقسم أنّه نفس الفرد هو هو بعيونه.

المشهد العاشر

توانيت (متنكّرة بزيّ طبيب)، **أرغان، بيرالد.**

توانيت : سيّدي، التمس عفوك، من صميم فؤادي.
أرغان : إنّ في الأمر لعجباً.
توانيت : من فضلك، لا تمتعضنّ من فضولي في زيارة مريض، ذائع الصيت نظيرك، إن شهرةً طبّقت الآفاق، عذرٌ لي، في حريّة التصرّف.
أرغان : جُعِلْتُ أجيرك، سيّدي.
توانيت : أراك، سيّدي، تحملق فيّ مليّاً، كم هو عمري برأيك ؟
أرغان : تناهز السادسة أو السابعة والعشرين باعتقادي ... أو تكاد.
توانيت : آه ها، ها، ها، عمري تسعون سنة.
أرغان : تسعون ؟
توانيت : هوذا بعينك، تعاين أفانين فنّي عليّ، محافظةً على نضارتي. وفتوتي ومتانتي.
أرغان : لعمري، هوذا شابٌ وسيمٌ، عجوزٌ في التسعين !
توانيت : طبيب متجوّل، من مدينة الى مدينة، من إقليم الى أقليم ومن مملكة الى مملكة، وما ذلك إلّا التماساً لمواد طبّية على المستوى، رهن بدعي، تفتيشاً عن سقماء جديرين باهتمامي، أهلٍ لممارسة ما وُفِّقتُ إليه من الطبّ، لأسرار بديعة عظمى، وإنّي لأربأ بنفسي أن أتلهّى بأمراضٍ هٰكذا يسيرة مبتذلة، من عصبيٍ تافه، إلى ربو سخيف... من حُمِّيَّة إلى أبخرةٍ إلى صداعٍ، إنّما أتوخّى العللَ الفادحةَ والحميّات السخينة المستديمة، مع هذيان في الدماغ، حميّاتٍ حمراءَ رمضاءَ طاعوناً طاعناً، وزحاراً حارّاً، ونزلاتٍ

نزلاءَ، مرفقةً بالتهاب صدريّ متعاظم، فهناك أنا المجلّي في ذاك المضمار، ونعم الأيْدِ لي.
أريدك إذن متحلّياً بكلّ البلايا التي ذكرت وأن يكون الأطباء؛ جميع الأطباء، قد نفضوا منك يديهم وأن تكون أنت في احتضارٍ يائسٍ لأبيّن لك حينئذٍ فضلَ علاجي، وأستشهد على صدق الولاء في خدمتك ...

أرغان : كم تراني مديناً لك، سيّدي لأفضال ستطوّقني بها ...

توانيت : أرني مجسَّك، هاتِ لي نبضاً خالصاً، أرني لأريك، إيْه، اللّوم كل اللّوم على نبضٍ مختلٍّ أرى أنّك لم تعرفني بعد، من هو طبيبك ؟

أرغان : هو السيّد بورغون.

توانيت : ذلك، المرء، غير واردٍ في سجلاتِ عظامِ النّطاسيّين عندي، وممّ يزعم لك أنّك تشكو ؟

أرغان : هو قال الكبد، وغيره الطّحال.

توانيت : طُغامٌ، جهالٌ؛ علّتك من الرّئة.

أرغان : من الرّئة ؟

توانيت : أجل، وبم تشعر ؟

أرغان : بصداعٍ متناوبٍ.

توانيت : بالضّبط من الرّئة.

أرغان : أشعر بغشاوةٍ على العينين، حيناً.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : وأحياناً أشعر فَأداً في الفؤاد.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : أشكو استرخاءً بالأطراف، حيناً.

توانيت : من الرّئة.

أرغان : وحيناً، جُسَاداً، كأنّه المغص في البطن.

توانيت : من الرّئة، أما من قابليّة، بتناول الطعام ؟

أرغان : بلى سيّدي.

توانيت : من الرّئة، وبارتشافك الخمرة ؟

أرغان : بلى سيّدي.
توانيت : من الرِّئة، إثر الوجبة، تشعر بنعاس إنعاماً لعينيك فينطبق جفناك، وحضرتك رضيٌّ رخيٌّ وبمَ يخلّل عليك الطّبيب، بالحميّة ؟
أرغان : يتخلّلها الحساء، كما يشير عليّ.
توانيت : جاهلْ.
أرغان : الفراخ.
توانيت : جاهلٌ.
أرغان : العجل.
توانيت : جاهلاً.
أرغان : المغالي.
توانيت : جاهلٌ.
أرغان : المقالي؛ بيضاً طازجاً.
توانيت : جاهلٍ.
أرغان : الخوخ المطبّخ المجفّف، مساءً للإسهال.
توانيت : جاهل.
أرغان : لا سيّما الخمرة الحمراء مشوبةً بالماء.
توانيت : مَجْهَلَةٌ، مُسْتجهلٌ، جَهُولُ.
عليك بالخمر صرفاً، تكثيفاً لنجيع سيّالٍ، إستساعةً بعجلٍ مسمّنٍ، وخنزير دسم. من الجبنة، خذها هولنديّة. تناول البرغل بالأرّز وبالكستناء، وكُلِ الفطائر لاصقةً مطبّقةً لزقةً، تزيدك بدانةً واكتنازاً.
ما طبيبك إلّا دابّة من الدّواب، أنا أزوّدك بيدي، بما أراه لك حسناً.
سأعود بين الفينة والفينة، كلّما عرّجت على المدينة.
أرغان : أفضالك غمرتني أيّها السيّد.
توانيت : وهٰذه الذراع، ويحك، كيف تحرص عليها دون الأخرى ؟
أرغان : كيف ؟!
توانيت : لو أنّي منك، لبترتها في الحال.
أرغان : لم ؟!

توانيت : ألا تجدها الأغذى ؟ يعني أنّه تستقلُّ بغذائها لتحرمها منه !
أرغان : بلى، لكنّي بحاجة إليها، ذراعي...
توانيت : وعينك، تلك اليمنى، أفقأها لو أني منك.
أرغان : عينٌ تُفْقَأ !
توانيت : ألا تجدها هي الأغذى، عالةً على الأخرى ؟ حيث إنّها تحرمها غذاءَها منها، ثق بي، وجِدْ من يفقأها لك، في أقرب وقت، وسترى هٰكذا بوضوح أكثر، بالحدقة اليسرى.
أرغان : على رسلك، لسنا في عجلة من أمرنا.
توانيت : إلى اللقاء، آسف لفراق هٰكذا خاطف، ورائي استشارةٌ عظمى، تثبّتاً من أمرِ امرئ توفّي بالأمس.
أرغان : توفّي بالأمس ؟!
توانيت : أجل، ترجيحاً الآن، لما كان ينبغي تلافيه قبل الآن لتحقيق الشفاء. بالالماع اليه ـــ الى اللقاء !

(تكون توانيت انصرفت دون أن يشيّعها الى الباب)

أرغان : لا يخفى عليك أن المرضى، لا يشيّعون أحداً.
بيرالد : هوذا طبيب، ماهر لبيب.
أرغان : نعم لكنّه متهوّر حميس قليلاً.
بيرالد : كلّ النّطاسيّين النّطسُ هٰكذا.
أرغان : ما بين بتر الواحدة، لتتعافى الذراع الأخرى. وسملِ الواحدة لتتعافى العين الأخرى، أفضّل ألّا تتعافى الأخرى بهٰذه الدفعات. تبّاً لها من عملية، تخلّفني أَعْوَرَ أَكْتَعَ.

المشهد الحادي عشر

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت : جعلت جاريتك، لا طاقة لي على الدَّغدغة كفانا دعابة.
أرغان : ما بك ؟
توانيت : هو طبيبك، ويتحمّس لي نبضي.
أرغان : يا له من شابٍ وثّاب ... وهو في التّسعين !
بيرالد : ها الخصام يستحكم بينك وبين السيّد بورغون فدعني، يا أخي، أفاتحك بنصيبٍ يتهيّأ لبنتِ شقيقي، أتسمح ؟
أرغان : لا يا شقيقي، إنّما نصيبها الدّير، لمعاندتها إيّاي، لقد اتّضح لي أنّ غراماً يحاك، ويلوح، وهي حتى الآن لا تفطن الى ما كشفت من لقاءاتها السرّية.
بيرالد : حسناً، يا أخي، وهل الهوى المتفّتق جريمة لا تغتفر ؟ وهل الأمور الشريفة تُضيرك معقودة للزواج ؟
أرغان : مهما كان، فالأمر لا مفر منه، مصيرها راهبة، يا شقيقي.
بيرالد : ثمّة خاطر تنوي مراعاة صاحبته ؟
أرغان : فهمت، إنّك تردّد القصّة، فزوجتي في حلقومك، غصّة.
بيرالد : أي نعم، أقولها بالفم الملآن، يا أخي، إنّها زوجتك، لا عناد الطبّ أعندُ منها ولا فخاخها المنصوبة ألدُ من تعافيك وانقيادك إليها، تنجرُّ صاغراً، ورأسك غير مرفوع أمامها.
توانيت : إيْه سيّدي، دعك من الحديث عن المصونة فهي معصومة، لا كلام عليها، المرأة المحبّة للرجل المحبّ ... هٰذا ممّا لا غبار عليه.
أرغان : سلها عن مداعباتٍ لا توفرها عنّي.
توانيت : هٰذا هو الصّحيح.
أرغان : سلها عن قلقها لمرضي.
توانيت : حقاً.
أرغان : سلها عما يحزّ في قلبها، لعناءٍ تحوّطني منه.
توانيت : حقاً حتماً.

(الى بيرالد) : أتسعى حقاً، الى التأكّد من غرام السيّدة بالسيّد. (الى أرغان) : خلّه عليّ، سيّدي، أتركني أريه سذاجته حالاً وسريعاً، هو طريء العود بسيط النيّة غشيم، دعني أمزّق عن عينيه كلّ غشاوةٍ وأفضح له كلّ جهالاته ...

أرغان : وكيف ذلك ؟

توانيت : السيّدة قادمة، عمّا قريب، فتمدّد أنت بطولك، على المقعد وتماوت، فأنا عندما أنبئها بموتك، تشاهد مبلغ أساها.

أرغان : هذا ما أودّه.

توانيت : أي نعم، إنّما لا تتمادَ في التّماوت فقد تقضي عليها القضاء المبرم.

أرغان : دعيني أفعل.

توانيت (الى بيرالد) : وأنت توارَ من هنا الى الزّاوية.

أرغان : أما من خطر عليّ بالتّظاهر بالموت ؟

توانيت : لا خوف عليك أنت، إنّما تسطّح هٰهنا (بصوت خافت) يا لفرحتي، بتسفيه أخيك ومغالطته، ها هي السيّدة آتية، تماسك جيّداً.

المشهد الثاني عشر

بالين، توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت (مولولة) أواه، ربّاه، وامصيبتاه، واحسرتاه ! واعجباه !

بالين : ما بالك، يا توانيت، ما بالك تولولين !

توانيت : أوّاه، سيّدتي.

بالين : ما الخطب ؟

توانيت : زوجك، توفّاه الله.

بالين : توفّي زوجي ؟

توانيت : واحسرتاه ! أجل، يا للمسكين ! كيف قضى نحبه !

بالين : حقّاً ؟

توانيت : حتماً، حقّاً. إنّما الحدث ما تفشّى بعد الى احد كنت هنا وحدي

ولا أزال حين أسلم الروح بين ذراعيّ، وها هو مُنْسطِحٌ على المقعد بطوله.

بالين : « المجد في الأعالي » لقد انزاح حملٌ ثقيلٌ عن كاهلي ما أشدّ غباوتك في التفجّع على الوفاة، يا توانيت !

توانيت : وجدتني هٰكذا الى البكاء ألزم، يا سيّدتي.

بالين : هيا هيا لا تحترزي في مسألةٍ تافهةٍ كهٰذه ليس بفقدانه أيّة خسارة، لعمري، ما المنفعة من رجلٍ جلوطٍ في قومه، قذرٍ، مقرفٍ، شطّافٍ، غسّالٍ، بذواخله !

لا ينفكّ ساعلاً، ماخطاً، نافثاً أبداً ولشرّ مزاجه هو ضجرٌ سمجٌ. مرهقاً كل قومه، مرعباً كل خدمه وجواريه بشرّ تعبيراته !

توانيت : هوذا مرثاة تأبين لا غبار عليها.

بالين : قومي لتنفيذ مآربي، ولك مني مكافأة كبرى، إن أدّيت لي الخدمة النّصوحة، لحسن حظّنا أن ما من أحدٍ يتنبّه بعد للحدث. نحمله الى سريره، ونكتم الوفاة ريثما أنجز فعلتي، ثمّة وثائق وثمّة أموال، سأضع يدي عليها فليس عدلاً أن أكون بذلت له شرخ الشّباب وريعان الصبا دونما ثواب أو ربا ! الأحرى بنا أن نقشّ هٰذه المفاتيح، يا توانيت !

أرغان (**ينهض فجأةً**) : مهْلاً، وعلى رِسْلِك.

بالين (**مرتعبة مبغوتة**) : أيّ.

أرغان : بخٍ، بخ، سيّدتي الزوجة، أهٰذه محبتك لي أنا !

توانيت : بخٍ المرحوم لم يمت بعد.

أرغان (**إلى بالين، وهي منصرفة**) : يطيب لي أن أعاين مآثركِ وأسمع مرثاتك البديعة فيّ، إنّ اللّبيب من القراءة يفهم، وهٰذه ملاحظة للقارئ اللّبيب، تجعلني فطناً في المستقبل وهي إشارة تردعني عن اقتراف أمورٍ شتّى.

بيرالد (**خارجاً من مخبأه**) : حسناً يا أخي، الحظّ يحالفك هٰذه المرة.

توانيت : لعمري ما صدّقت عينيّ، مهلاً إنّي أسمع بنتك، عد الى سابق عهدك ولنرَ كيف هٰذه تتلقّى الوفاة. تجربةٌ لا بدّ منها ولا ضير فيها. وهٰكذا تطلع حضرتك على شعور العائلة الكريمة تجاهك وأنت مسطّحٌ ميت.

المشهد الثالث عشر

أنجليك، أرغان، توانيت، بيرالد

توانيت (مولولة) : العياذ بالسماء، أوّاه، يا لها من ضربةٍ قاصمةٍ يا له من نهار مشؤوم، أوّاه !

أنجليك : ما دهاك، توانيت، ما الذي يبكّيك ؟

توانيت : ما لك وأخبار الشؤم منّي، واحسرتاه !

أنجليك : أوّاه ! ماذا !

توانيت : أبوك، قضى نحبه.

أنجليك : مات، توانيت، أبي ؟

توانيت : أجل، هوذا الوالد، وقد مات حتف أنفه، منذ حين. بعد أن خارت قواه، هكذا، فجأةً.

أنجليك : أعوذ بالسماء، من المصيبة، يا للفاجعة العاتية ! واحسرتاه ! أفقده، وما لي في الحياة سواه ! أبي ! وإمعاناً ليأسي أفقده وهو في ذروة غضبه عليّ، ماذا حل بي ! أنا التعيسة وأيّ تعزيّة لي بعد فداحة الخسارة !

المشهد الرابع عشر

كليانت، أنجليك، توانيت، بيرالد

كليانت : ما بك أنجليك الفتّانة، وَيْحَ عينيك ما تندبين ؟

أنجليك : واحسرتاه ! أندب أعزّ منْ كلّ عزيز خسرت، وأبكي أثمن مِنْ كلّ ثمينٍ فقدتُ، إنّي أندب وفاة والدي.

كليانت : أعوذ بالسّماء من فاجعةٍ صاعقة ، واحسرتاه ! أيُّ خطب هو هٰذا! بعد رجائي لتدخّل عمّك عنده، جئتُهُ متذرّعاً بآي الاحترام وآيات الاستعطاف معلّلاً النفس بانعطاف قلبه عليّ ليسلّمك اليّ، تحقيقاً للأمنيّة...

أنجليك : إيْه كليانت، دعنا الآن من كلّ هٰذه الأقوال لنترك الزواج جانباً، من

بعد موت أبي، لم يعد العالم كلّه يملأ عينيّ، إنّي أتخلّى عنه، إلى الأبد. نعم، يا أبي. إن كنت أبَيْت الامتثال لأوامرك، بودّي أقلّه الآن أن أمتثل لواحد منها وهٰكذا أعوّض عن حزن، أقرّ أنّي سبّبته لك. هي كلمة واحدة منّي : « أن إرْضَ عنّي يا أبي »، وها أنا أعانقك تبياناً لك عن صدق شعورٍ يخالجني.

أرغان (**ناهضاً**) : إيْه ، يا ابنتي !

أنجليك (**مرتعبةً**) : أيًّ.

أرغان : حتماً بنتي، بعض دَمي، هلمّي لا تخافي. لستُ بميتٍ، لا عليك، وخفّفي عنك. فإنّي راضٍ عن طيب عريكتك، كلُّ الرّضى.

أنجليك : يا للمفاجأة السارّة يا والدي، ها إنّ السماء تعيدك إليّ تتويجاً لآمالي، تقبَّلْني إذن جاثيةً على قدميك لأستعطفك في هذا الشأن بالذّات، إنْ لم تكن راضياً على هوى قلبي، ورفضت كليانت قريناً لي أرجو ألّا ترغمني على الزواج من آخر غيره، هٰذا جلّ مبتغاي. من فضلك.

كليانت (**جاثياً على ركبتيه**) : إيه سيّدي، تعطّف علينا لرجاها وأمانيّ ولا تلجم اندفاعاً متبادلاً بالهوى الفتّان بيننا.

بيرالد : أتطيف بعدُ تجبّراً يا أخي ؟

توانيت : أتصمد، سيّدي، بدون إحساس عارف أمام غرام جارف ؟

أرغان : ليعدّ نفسه نطاسيّاً، أوافق على عرسه، نعم، أعدّ نفسك طبيباً أعدْك بآبنتي.

كليانت : بكل طيبة خاطر، إن صاهرتني طبيباً جعلت الطبّ ديني والصيدلة ديداني إذا شئت، فلا مانع لديّ، وبالعجب العجاب سأبرع أوْ أنال يد أنجليك الجميلة.

بيرالد : وخاطرةٍ تجول بخاطري، لعلّك يا أخي تعدّ نفسك بنفسك نطاسيّاً دون غيرك فتستقلّ بذاتك وتستغني.

توانيت : ونعم الرأي، هي الطريقة المثلى للتعّجل في شفائك، فليس أفتك للمرض إلا التلبّس بدور الطّبيب شخصيّاً.

أرغان : لا أظنّك يا شقيقي إلّا ساخراً منّي أتراني في سنّ الدراسة والكتّاب.

بيرالد : أيّة دراسة وأيّ كتّاب ! حسبك علمٌ، فالعديد منهم دونك مهارةً.

أرغان : أين منّي لسان اللاتينية، وتصنيف العلل، وتنويع الدواء على الداء ؟

بيرالد : كأحسن نطاسيّ، بالطيلسان تدثّر وبالقلنسوة تعمّر، تنقَدْ اليك كل المعارف وبعدها تبلغ شأواً من التنطّس على أمهر ما يرام.

أرغان : ماذا ؟ أبالطّيلسان تدرك الأمراض ؟ ونَطال من البحث المُراد ؟!

بيرالد : في الخطاب من داخل جبّة طبيب ومن تحت قلنسوته تصبح، لعمري، الحماقة تَبَصُّراً، والحذلقة علماً.

توانيت : حسبك سيّدي، ما توفرت عليه، فلديك اللحية وهي تغنيك عن نصف طبيب.

كليانت : أنا على أتمّ الاستعداد رهن إشارتك منذ الآن.

بيرالد : الآن، فليكن، فلنباشرنّ، بالقضيّة إذن.

أرغان : وكيف نباشر بها ! الآن ؟

بيرالد : أجل، الآن، وفي عقر دارك.

أرغان : في عقر داري ؟

بيرالد : أجل، هناك زمرة طبيّة من طبيباتي ينوين الاحتفال، في صالتكم، دون أن تتكلّفوا حضرتكم بشيء.

أرغان : وأنا ما عساي أقول، وبمَ أجيب ؟

بيرالد : أنت تقلّد الشرح إيماءٍ، وتقلّد الكتابة نبراً. أمضِ وتزيّ باللباس المناسب، ها إنّي مرسل الآن في طلبهنّ.

أرغان (منصرفاً) : نحن وشأننا.

كليانت : ماذا تقصد، ومن أين لك « زمرة طبيباتٍ صُوَيحبات » ؟

توانيت : ماذا تعني، بقولك هٰذا ؟

بيرالد : قصدت بها فسحة، هٰذا المساء، نفسّح بها عن أنفسنا، هناك الطبيبات، بالرقص وبالموسيقى يزففن طبيهن، هازجات هازلات، فلم لا نشارك نحن هرجاً ومرجاً ويكون لأخي الشوط الأوّل بالهزل والتشخيص. فلا حرج عليه !

أنجليك : أراكَ، يا عمّاه، تعبث بالوالد، وتغالي.

بيرالد : بيننا يا ابنة الأخ، أنا لا أعبث به ولا أغالي بل بالأحرى، أنزل عند باله

وبالي، وثمّة لكلّ منّا دوره هزلاً بهزل، واحدٌ يفكّهُ الآخر، هكذا يكون الكرنفال ترفيهاً عن الجميع.

كليانت (**لأنجليك**) : ما قولك ؟

أنجليك : موافقة، فيا حبذا ! طالما العم زعيم حفلة الترفيه رفّهنا ورفّعنا.